

وَأَقْرَبًا

مملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

وزارة المعارف بطبعه وقررت تدريس في المدارس الثانوية

أصول العالم الحديث

للسنة الأولى الثانوية

تأليف

الدكتور إبراهيم عبد العدي

محمد عبد المظني السريبي

الدكتور عبد العزيز الخويطر

سيد محمد سعودي

الطبعة الثالثة

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

يوزع مجاناً

وأية نسخة تباع تُعتبر مسروقة

60800

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

قطع العالم في العصر الحديث شوطاً واسعاً في التقدم العلمي والمادي ، ولكن دون أن يحقق للإنسانية - بعد - أسباب الاستقرار النفسي والهناء الروحي . ولكي نفهم نحن أبناء العصر الحديث أسباب هذه الظاهرة ، ونستطيع أن نسهم في تنمية الطيب منها ، ونطيح بالفساد فيها يجب علينا أن ندرس البيئة التي نبتت في أرضها تلك الظاهرة .

ويقتضي ذلك الفهم الرجوع الى اصول العالم الحديث ، وهي المرحلة الزمنية التي يتناولها هذا الكتاب . ففي تلك المرحلة استطاعت اوروبا أن تنتقل من العصور الوسطى ، بجتمعها ونظمها الى العصور الحديثة . ولم يكن انسلاخ هذين العصرين سهلاً ميسوراً وإنما صاحبه كفاح مرير ترك أثره في مجرى التاريخ الأوروبي الحديث . ويعرض الفصل الأول من هذا الكتاب مظاهر هذا الانسلاخ الذي يطلق عليه اسم « عصر النهضة » وما صاحبها من مظاهر التقدم الإنساني .

وانطلقت اوروبا منذ عصر النهضة تكشف ارجاء لعالم المجاور لها، وتدرس

نسخة مجانية

مظاهر الكون وما به من أسرار . وترتب على ذلك قيام حركة الكشوف الجغرافية العظمى والانقلاب الصناعي وما تلاه من تقدم علمي وهي أمور تعرضها الأبواب الثانية والثالثة والرابعة من هذا الكتاب . وبدأت دول أوروبا نتيجة نشاطها العلمي تعتر بشخصيتها وتحاول المحافظة على كيانها . فقامت بينها حركات التحرر ، وبناء قومياتها ، مثلما حدث في فرنسا وإيطاليا وألمانيا ، على نحو ما يفصلة الباب الخامس .

غير أن مظاهر القوة التي نالتها أوروبا في العصر الحديث ولدت عندما روح الاستعمار واستغلال البلاد ذات الموارد الطبيعية . وترتب على ذلك قيام حركات مناهضة للاستعمار ، أسهم فيها العالم العربي بنصيب كبير حتى استرد ثرواته ، وأخذ يتبوأ مكائنه الجديرة به بين مجموعة أمم العالم الحديث . ويوضح الباب السادس والأخير هذه الظاهرة الرائعة ، ويكمل ما سبق عرضه من أبواب الكتاب . ونسأل الله أن يوفق أبناءنا الطلبة للاستفادة من هذا الكتاب ويساعدهم على التنشئة الصحيحة السليمة .

المؤلفون

منهج التاريخ : السنة الاولى الثانوية

« درسان في الاسبوع »

أولاً : النهضة الأوروبية :

- ١ - أوروبا قبل عصر النهضة .
- ٢ - عصر النهضة في أوروبا .
- ٣ - قيام النهضة الأوروبية وازدهارها . أثر الحضارة العربية الإسلامية في أوروبا . الآداب الإنسانية . ظهور اللغات الحديثة - التقدم العلمي - النهضة الفنية .
- ٤ - إيطاليا مهد النهضة .
- ٥ - انتقال النهضة إلى خارج إيطاليا . (في المانيا ، فرنسا ، إنجلترا) .
- ٦ - حركة الإصلاح الديني .

ثانياً : الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي :

- ١ - حالة العالم الإسلامي بوجه عام قبل حركة الكشوف الجغرافية
- ٢ - العوامل التي أدت إلى قيام حركة الكشوف الجغرافية .
- ٣ - الكشوف البرتغالية في البحار الشرقية ، وأثرها في السوق العربية والبحر المتوسط .
- ٤ - الكشوف الاسبانية والبرتغالية ، وبداية الاستعمار في أمريكا .

نسخة مجانية

- ٥ - تفوق هولنده التجاري ومستعمراتها في الشرق .
- ٦ - التنافس الاستعماري بين إسبانيا والبرتغال ، وبينها وبين هولندا وفرنسا وبريطانيا - وأثر ذلك على بلدان العالم العربي .

ثالثاً : تقدم العلوم الطبيعية :

- ١ - عوامل تقدم العلوم الطبيعية .
- ٢ - مناهج البحث العلمي .
- ٣ - مظاهر تقدم العلوم الطبيعية عند المسلمين والأوروبيين :
 - أ - علم الفلك .
 - ب - علم الكيمياء .
 - ج - علم الطب .
 - د - اكتشاف الكهرباء .

رابعاً : الانقلاب الصناعي :

- ١ - تعريفه .
- ٢ - خصائصه .
- ٣ - عوامل قيامه .
- ٤ - تطور الصناعة .
- ٥ - أدواره .
- ٦ - نتائجه .

ويتناول أيضاً الكشف عن قوة البخار والكهرباء واستخدامها في المواصلات والصناعة والحياة العامة .

خامساً : نمو الحركة القومية في أوروبا :

- ١ - أثر الثورة الفرنسية في إذكاء الروح القومية بين الشعوب الأوروبية .
- ٢ - أمثلة لجهاد بعض الشعوب الأوروبية في سبيل تطبيق وحدة الدولة .
- ٣ - إشارة موجزة لقيام الوحدة الإيطالية والاتحاد الألماني .

سادساً : يقظة الشعوب ضد الاستعمار الأوروبي :

- ١ - عرض سريع للتوسع الاستعماري الأوروبي في الشرق بآسيا وإفريقية .
- ٢ - أثر الاستعمار في إضعاف معنويات الشعوب واقتصادياتها وكيانها السياسي والاجتماعي (أمثلة من بلدان العالم العربي) .
- ٣ - عرض موجز لأهم الحركات القومية .
- ٤ - مناهضة الاستعمار الأوروبي في كل من : البلاد العربية والهند واندونيسيا .

الباب الأول

تمهيد

أوروبا قبل عصر النهضة :

المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى .
الممالك الجرمانية - النظام الإقطاعي - الأحوال الفكرية في المجتمع
الأوروبي في العصور الوسطى .

الفصل الأول :

عصر النهضة في أوروبا :

التعريف بعصر النهضة - خصائص النهضة الأوروبية وانتقال المجتمع
الأوروبي من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة .

الفصل الثاني :

قيام النهضة الأوروبية وازدهارها :

أثر الحضارة العربية الإسلامية في أوروبا .
الآداب الإنسانية - ظهور اللغات الحديثة - التقدم العلمي .
النهضة الفنية .

نسخة مجانية

الفصل الثالث :

إيطاليا مهد النهضة :

العوامل التي جعلت إيطاليا مهد النهضة - المراكز الكبرى للنهضة في إيطاليا .

الفصل الرابع :

انتقال النهضة الى خارج إيطاليا :

أقول النهضة الإيطالية - النهضة في ألمانيا - النهضة في فرنسا - النهضة في إنجلترا .

الفصل الخامس :

حركة الإصلاح الديني :

العوامل التي ساعدت على قيام حركة الإصلاح الديني - زعماء الإصلاح الديني : مارتن لوثر ، كالفن .

الباب الأول

تمهيد

أوروبا قبل عصر النهضة

المجتمع الاوروبي في العصور الوسطى

الممالك الجرمانية :

ينقسم تاريخ أوروبا إلى ثلاثة عصور : القديمة والمتوسطة والحديثة ، ويشتمل كل عصر منها على عدة قرون تشابهت فيها أسس الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فسيطر على الحياة في أوروبا في العصور القديمة الإمبراطورية الرومانية الكبرى ، التي خضع لأباطرتها في روما كل البلاد المطلة على البحر المتوسط .

غير أن العصور القديمة لم تلبث أن انتهت بانهيار تلك الإمبراطورية الكبرى ، فقد اندفقت قبائل متبربرة عديدة من شبه جزيرة اسكنديناوة بسبب الجوع والفقر ، وأغارت على بلاد الدولة الرومانية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين . فحجز أباطرة الرومان عن صد تلك القبائل التي عرفوها باسم القبائل الجرمانية ، وانتهى الأمر بسقوط روما في أيديها سنة ٤٧٦ م . وبذلك بدأت العصور

نسخة مجانية



(هجوم المقيمات على المنتمين بربوطة)

الوسطى في أوروبا ، وصاحبها قيام ممالك جرمانية على انقاض الامبراطورية الرومانية في غرب أوروبا .

واشتهر من الممالك الجرمانية بأوروبا دولة القوط الغربيين بأسبانيا ، ودولة القوط الشرقيين بإيطاليا ، ودولة الفرنجة ببلاد الغال . وهي فرنسا الحالية .

امبراطورية شرلمان :

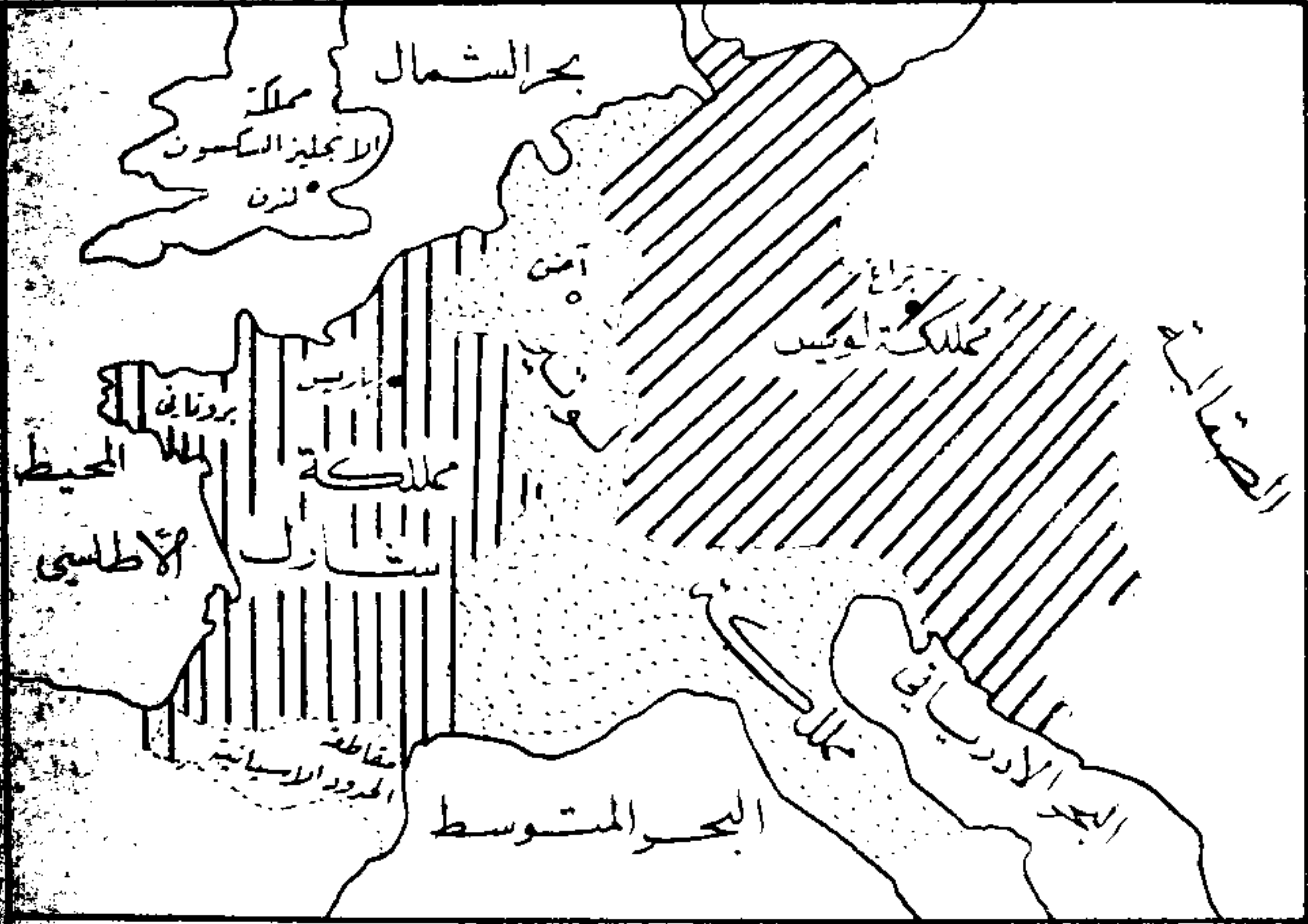
وانفردت دولة الفرنجة ببلاد الغال (فرنسا) بالتقدم المطرد . إذ توافر لها نقر من الحكام عملوا على المحافظة عليها وتقويتها . واشتهر من هؤلاء الحكام شرلمان ، إذ استطاع ان يوسع ممتلكات الفرنجة ، حتى أسس امبراطورية شاسعة (٨٠٠ م) كادت تعيد الى الأذهان أيام الامبراطورية الرومانية في أوروبا . غير أن تلك الإمبراطورية الجديدة لم تلبث أن تفككت بعد وفاة شرلمان بسبب تنافس أبنائه وأحفاده على العرش . وزاد من هذا التفكك هجوم عناصر جديدة عليها من شبه جزيرة اسكنديناوة عرفت باسم الشماليين ، إذ عمل أولئك الشماليون السلب والنهب في بلاد غرب أوروبا دون أن يجدوا مقاومة . واضطر أهالي أوروبا إلى حماية أنفسهم من ذلك الخطر الداهم بوضع تنظيم جديد لمجتمعهم في العصور الوسطى عرف باسم « النظام الإقطاعي » .

النظام الإقطاعي

تعريفه :

الاقطاع نظام سياسي واقتصادي واجتماعي ، يقسم المجتمع الى طبقتين :

نسخة مجانية



(دولة شرمان وتقسيم سنة ١٨٤٣م)

الطبقة الحاكمة التي تملك الأرض ، والطبقة المحكومة التي تعمل فيها . فالأرض هي المصدر الأول للثروة ، واصحابها هم رجال الحرب وحملة السيف ، أما المحكومون فهم الكادحون في الزراعة ، وكانوا محرومين من حمل السلاح ، مربوطين بالأرض ، وكانوا يرثون هذا الرباط كأرقاء خالفاً عن سالف .

أسباب قيام النظام الاقطاعي :

ونشأ ذلك النظام الإقطاعي بسبب اشتداد هجمات الشماليين على بلاد أوروبا ، وازدياد القوضى والاضطراب في سائر أرجاء البلاد . فقد عجز خلفاء شرلمان وأصحاب السلطة المركزية عن حماية ممتلكاتهم وأهاليها . وعندئذ اضطروا أمراء الأقاليم إلى الاعتماد على انفسهم في الدفاع عن ممتلكاتهم . ثم إن المزارعين والتجار في الأقاليم لجأوا بدورهم إلى أقرب أمير لهم ، وعهدوا إليه بالدفاع عن أراضيهم وثرواتهم .

وبذلك انهار سلطان الحكومة المركزية ، وصار الملك هو الرئيس الإسمي فقط للبلاد . أما الأمراء فصاروا هم أصحاب السلطة الفعلية في الأقاليم ، وكونوا الجيوش الخاصة بهم ، وأقاموا المحاكم والإدارات المحلية التابعة لهم مباشرة ، كما وضعوا الأنظمة والقوانين الكفيلة بحفظ النظام في أقاليمهم . وبذلك صار كل إقليم بمعزل عن الأقاليم الأخرى تقريباً ، وتحولت أوروبا إلى مئات الإمارات الصغيرة ، التي لا تخضع إلا اسماً للملك .

التنظيم الاقطاعي :

١ - امتلاك الأرض : كانت الأرض هي العمود الفقري للنظام الاقطاعي ، ولذا خضعت ملكيتها لنظم مقررة . فالأرض كلها من الناحية النظرية ملك

نسخة مجانية

للسيد الأعلى للبلاد ، وهو الملك . وينح هذا السيد الأعلى الأرض إقطاعيات
للأمراء التابعين له ، بعد أن يؤدوا قسماً يتعهدون فيه للملك بالاخلاص والطاعة
وتنفيذ مطالبه .

غير أن أولئك الأمراء استقلوا بإقطاعاتهم من الناحية العملية ، وصار الملك
محروماً من كل سلطان فعلي عليهم . ثم منح كل أمير أرضه أقساماً إلى تابعيه من
الأشراف الكبار ، وقام الأخيرون بدورهم بتقسيمها على أشرف أصغر منهم ،
وهكذا حتى ينتهي التقسيم عند رقيق الأرض العاملين فيها .

٢ - العلاقات الإقطاعية : واقتضى توزيع الأرض بين السادة والاتباع
تحديد العلاقات بين كل منهم . ذلك أن المتمتع بالأرض كان يتعهد بالتزامات
معينة لسيد الإقطاعي ، مقابل تعهد السيد بالتزامات أخرى لتابعه ، وصار
لكل من الطرفين حقوق وعليه واجبات قبل الطرف الآخر .

أما التزامات التابع للسيد الإقطاعي فهي :

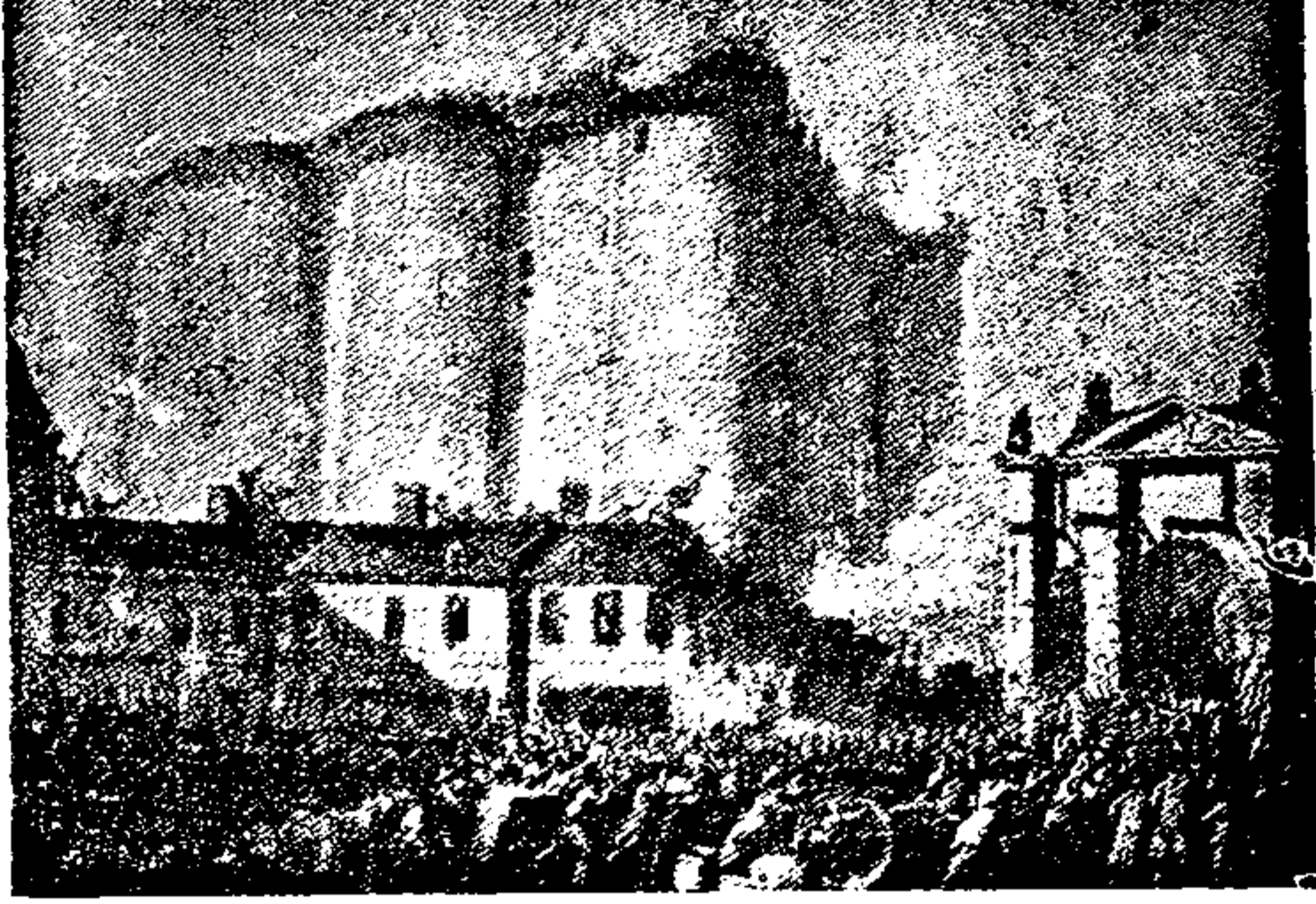
(أ) يُقسِم التابع يمين الاخلاص لسيدته ، وعندئذ يناوله السيد حفنة من
التراب إشارة إلى أنه سلمه الإقطاع فعلاً ، كما يعطيه علماً وعكازاً وبراءة تثبت
أوصاف الأرض الممنوحة ومساحتها ، وتسمى هذه العملية « التقليد » .

(ب) يتعهد التابع بأن يحارب الى جانب سيده في قتال أعدائه ، وأن يزود
جيش السيد بما يحتاج اليه من عدة وعتاد .

(ج) يقدم التابع مساعدات مالية لسيدته في مناسبات عديدة ، منها عند
زواج أبناء السيد ، وعند افتداء السيد إذا وقع في الأسر .

٣ - طبقة الفرسان : كان التعاون في الحرب هو المحور الأساسي للعلاقات
الإقطاعية بين السيد وأتباعه ، لان المهمة الاولى للسيد الإقطاعي كانت حماية

« بعض مظاهر الحياة في العصور الوسطى »



قصر حصين من قصور العصور الوسطى
(للاشراف في عهد الإقطاع)



المارس في القرن الخامس عشر

« اصول العالم الحديث ١ ت / ٣ »

نسخة مجانية

تابعيه وأراضيه . ولذا صار المجتمع الاقطاعي يدور حول محور واحد هو الفارس المحارب . وتألقت طبقة الفرسان من أبناء الأشراف الذين دربوا على أساليب القتال من سن السابعة الى سن الرجولة .

وتعلم الفارس الى جانب مهمة الحرب صفات أخلاقية هامة ، منها الدفاع عن الفضيلة ونصرة الحرية ، والذود عن النساء وحماية رجال الدين وأماكن عباداتهم . ونشأ عن ذلك ما يسمى بتقاليد الفروسية كالشهادة والمروءة .

وفي مقابل التزامات الاتباع قهد السيد بحمايتهم والدفاع عنهم . ولذا شيد الأشراف القلاع والحصون في أقطاعاتهم ، وبنوا حولها أكواخاً يلجأ اليها الفلاحون والتجار عندما يدم العدو بلادهم . وتولى جيش السيد الاقطاعي المكون من الفرسان الدفاع عن الحصون والقلاع ، وصدت المعتدين وإغاراتهم .

الاحوال الفكرية في المجتمع الاوروي

في العصور الوسطى

سيادة تعاليم الكنيسة :

خضع الناس في اوروبا لتعاليم الكنيسة ، وانطبعت أحوالهم الفكرية بالجمود ، وما تلاه من جهل في شتى المعارف والفنون . ودارت تعاليم الكنيسة حول احتقار الجسد والارض التي يعيش عليها ، وعلى ان الشيء الذي له قيمة هو الروح . فتعاليم الكنيسة روحية تحض الانسان على احتقار الدنيا ومتاعها ولذاتها ، وبالجملة على أن يقف الانسان من الحياة موقفاً سلبياً ، مليئاً بالزهد .

منهج التعليم :

ووضعت الكنيسة منهج التعليم في العصور الوسطى ، وصار يعرف بمنهج الفنون السبع « Seven Liberal Arts » ، ثلاثة منها يطلق عليها اسم «الثلاثية» وهي النحو والبلاغة والمنطق ، وهذه بدورها أساس المواد «الرباعية» وهي الحساب والهندسة والفلك والموسيقى . غير ان طابع التعليم اتسم بالجمود والاهتمام بالشكليات دون جوهر الموضوع ، وعدم القدرة على البحث والمناقشة . ولذا أمسى الجهل متفشياً بين الناس ، فلم يعرفوا من علم التاريخ غير عبارات ابتدعتها الوهم والخيال ، واقتصرت معرفتهم بالطبيعة على خرافات لا يقبلها العقل ، وصارت العلوم راکدة جامدة لا تقدر على التقدم والانطلاق .

ضعف اللغة اللاتينية :

وزاد من جهل الناس في العصور الوسطى ، وسوء أحوالهم الفكرية ضعف اللغة اللاتينية . فعلى الرغم من زال الامبراطورية الرومانية من اوروبا وقيام الممالك الجرمانية بدلاً منها ظلت اللغة اللاتينية هي اللغة المستعملة ، وأداة التعليم . ولكن تلك اللغة ذات قواعد وأصول يصعب على الجرمان فهمها . ولذا دخل التحريف الى اللغة اللاتينية ، وصارت تختلف عما كانت عليه أيام الرومان وعظمة آدابهم وعلومهم .

وترتب على جهل الناس في العصور الوسطى باللغة اللاتينية السليمة فضلاً عن عدم معرفتهم للغة اليونانية كذلك ، انقطاع الصلة بينهم وبين علوم القدماء وآدابهم . فظلت علوم اليونان القدامى وكذلك الرومان وتشريعاتهم كنوزاً مغلقة لا يدري عنها أهل اوروبا في العصور الوسطى شيئاً . ثم إن الكنيسة زادت من الحاجز الفاصل بين الناس وبين تلك العلوم القديمة ، بدعوى انها دراسات وثنية ، تخالف تعاليم الدين المسيحي .

نسخة مجانية

الفصل الاول

عصر النهضة في اوروبا

التعريف بعصر النهضة :

يطلق على فترة الانتقال في أوروبا من العصور الوسطى الى العصور الحديثة اسم « عصر النهضة » ومعنى النهضة في اللغة الأوروبية (Renaissance) هو « البعث » او « الاحياء » ، لأن النهضة اتجهت اتجاهاً قوياً إلى إحياء الأدب والفن اليوناني والروماني القديمين . غير أن اصطلاح النهضة بمعناه الواسع لم يقتصر على إحياء دراسات القدماء من يونان ورومان فحسب ، وإنما امتد هذا المعنى واشتمل على تغيير الآراء المعنوية والاجتماعية والسياسية التي سادت العصور الوسطى وتحكمت في مجتمعها .

وبدأت مظاهر عصر النهضة قبل القرن الرابع عشر الميلادي ، ومنها دراسة القانون الروماني وظهور المدن الأوروبية وما نشأ فيها من تقدم الصناعة وازدهار التجارة . وظلت النهضة تتقدم وتنمو خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، واستمرت الى القرن السادس عشر كذلك . ومن أمثلة المظاهر الأخيرة ازدياد المعلومات الجغرافية مما ترتب عليه كشف العالم الجديد

نسخة مجانية

(الامريكتين) والمناداة بالحد من سلطان البابا وما وتلا ذلك من حركة الاصلاح الديني .

ومن ثم اشتمل عصر النهضة بمعناه الواسع على الفترة ما بين ۱۳۰۰ و ۱۵۰۰ م . واستمرت مظاهر النهضة في بعض جهات اوروبا الى ۱۶۰۰ م ، اذ تأخرت بعض البلاد في الأخذ بأسباب النهضة على حين تفوقت الأخرى بدخولها مبكرة في حركة اليقظة والإحياء .

خصائص النهضة الاوروبية وانتقال المجتمع الاوروي من العصور الوسطى الى العصور الحديثة

انهيار الاقطاع ونمو المدن :

كان ظهور المدن في اوروبا تحدياً للنظام الاقطاعي ، الذي سيطر على المجتمع الاوروي وآذن بنهايته . اذ نشأت المدن نتيجة لنمو التجارة والصناعة ، وبسبب حرص أهلها على كسب عيشهم بعيداً عن سيطرة النبلاء ، سادة المجتمع الإقطاعي . فترتب على تقدم المدن المطرد تدهور قواعد النظام الإقطاعي القائم على أساس الزراعة ، وظهور قواعد اقتصادية جديدة في المجتمع . وبالتالي بدأ النبلاء وهم سادة المجتمع الإقطاعي يواجهون سكان المدن ، الذين تفوقوا عليهم في الثروة والثقافة والقوة العسكرية كذلك .

واستطاعت المدن أن تنفصل عن الوسط الإقطاعي المحيط بها ، وانتزعت

60800

لنفسها حقوقاً وامتيازات عديدة . ثم لم تلبث تلك المدن أن هاجمت التقسيم الإقطاعي لأنه يدعو إلى عدم الاستقرار ، بسبب النزاع الدائم بين النبلاء ، وإلى الفقر في البلاد ، نتيجة تعطل التجارة . وبذلك ظهرت طبقة جديدة في المجتمع الأوروبي وهي « الطبقة الوسطى » التي سكنت المدن ، وصار لها نفوذها السياسي ، وجعلت المدينة مركز النشاط بدلاً من القلعة في المجتمع الإقطاعي وبانحلال النظام الإقطاعي ودعت أوروبا العصور الوسطى ، واستهلت عصر النهضة في طريقها إلى العصور الحديثة .

ظهور الوعي القومي (الأمم الحديثة)

واقترن بانهيار النظام الإقطاعي اختفاء النظريات السياسية التي سادت المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى . فكان المفكرون السياسيون في تلك العصور يعتقدون أن المسيحية تكون دولة واحدة ، على رأسها زعيان ، هما البابا والامبراطور ، ليمثل الأول السلطة الدينية ، ويعبر الثاني عن السلطة الدنيوية . غير ان هذه النظرية ثبت فشلها أيام الحروب الصليبية ، التي ظهر فيها اقسام المسيحيين وعدم إيمانهم بالوحدة السياسية .

ثم تنكر الناس لسلطان الكنيسة والإقطاع ، وما لهما من سيطرة عالمية لا تعترف بمحدود قومية . فالإقطاع يفرق بين النبلاء من ناحية وبقية الطبقات من ناحية أخرى ، بما يقضي على وحدة عناصر الأمة والشعور بهذه الوحدة . غير أن الناس في المدن سيطر عليهم « الشعور القومي » ولم يسمحوا لأية سلطة خارجية بالتدخل في شئونهم ، ولو كانت سلطة البابا نفسه . وظل هذا الشعور ينمو ، وتولدت عنه النظرية السياسية التي تقول بأن مهمة الحكومة هي السهر على مصالح الأمة . ولم يأت آخر القرن الخامس عشر حتى اكتملت شخصية الأمة الحديثة ، وبدأت واضحة بكيانها القومي المستقل .

نسخة مجانية

ومثل هذا التطور السياسي الجديد مكيافيلي (Machiavelli) الإيطالي ، وسير توماس مور الانجليزي (Sir Thomas More) . أما الأول فهو إيطالي يحب لوطنه ، متحمس لوحده ، ساء ما ساد وطنه من انقسام وشحناء ، ورأى أن القوة وحدها هي التي تعيد اليه الوحدة . وعبر عن آرائه في كتاب سماه « الأمير » .

وتخلى مكيافيلي في كتابه « الأمير » عن قواعد العصور الوسطى ، وشرح نظرياته الحديثة في السياسة ، وهي « أن الأمير الذي يريد حفظ كيان دولته ، لا بد له في كثير من الأحيان أن يخالف الذمة والمروءة والانسانية والدين » .

فقال مكيافيلي : ان القوانين الخلقية وضعت ليسير على مقتضاها الأفراد ، ولكنها لا تدخل في سياسة الدول ، بل يجوز لمن يريد تكوين دولة قوية أن يلجأ الى الرذيلة والجريمة والقوة والخداع . واعتنق تلك الآراء ملوك اوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

أما سير توماس مور فوضع كتاباً اسمه « يوتوبيا » (Utopia) وهو عبارة عن دولة خيالية اعتبرها نموذجاً للأمة الحديثة .

قوة شخصية الفرد :

كان الفرد في العصور الوسطى مجرد فكرة ولم يكن له وزن في المجتمع ، فهو تابع للهيئة التي ينتمي اليها ، إذ كانت النقابة التي تضم أصحاب الحرفة الواحدة أصل المجتمع الإقطاعي ولم يستطع الفرد في ظل هذا التنظيم التعبير عن شخصيته في حرية ، أو الانتقال من طبقة دنيا الى طبقة اعلا . والطريق الوحيد لإظهار الفرد لنشاطه والوصول الى مكانة مرموقة في المجتمع هو الانخراط في سلك رجال الدين .

أما في عصر النهضة فقد تطورت شخصية الفرد ، واستطاع أن يعبر عن نفسه في حرية مطلقة ، ونال حقه كاملاً في المجتمع ، وصار نواته الاجتماعية (Social Unit) . وترتب على ذلك انطلاق العبقرية الفردية ، وظهور أشخاص أفذاذ في شتى ميادين العلم والمعرفة ، حتى صار أهم خصائص النهضة الكشف عن شخصية الفرد .

وتبع ظهور شخصية الفرد واحترامها اتساع المجال امام المرأة في عصر النهضة لتسهم مع الرجل في التطورات الحديثة وبناء مجتمع صالح . فصارت المرأة تشترك في المناقشات التي تهدف الى تحسين مركزها الاجتماعي ، وتؤكد ان حرية الاختلاط تحوط الاخلاق بسياج أقوى من سور العزلة . ثم تنوع نشاط المرأة وشمل كافة ميادين الدراسة ، في الأدب والشعر والموسيقى ، وأسست بعضهن حلقات للادب والمناظرة . وصارت المرأة ركناً هاماً من اركان المجتمع الحديث بفضل عصر النهضة وخصائصه .



الفصل الثاني

قيام النهضة الاوروبية وازدهارها

۱ — أثر الحضارة العربية الاسلامية في اوروبا

ازدهار الحضارة العربية في العصور الوسطى :

ازدهرت الحضارة العربية في العصور الوسطى ، وصارت أبهى حضارات العالم كله إذ ذاك بفضل جهود العلماء العرب وتشجيع الخلفاء لهم . واهتم العلماء العرب بتراث الحضارات القديمة التي سبقتهم وأخذوا منها الصالح وانقيد . ومن ذلك اهتمام العرب بعلوم اليونان القدامى ، وقيامهم بترجمة معظم مؤلفاتهم إلى العربية . وصارت يعرفون الكثير عن أرسطو وأفلاطون وغيرهما من مشاهير اليونان القدامى ، في الوقت الذي غرقت فيه اوروبا في الجهالة ، ولم تعرف شيئاً عن اولئك الأجداد القدامى لحضارتها .

غير أن اوروبا لم تلبث أن اتصلت بحضارة العرب ، ونقلت عنها الكثير من نتاج علومها ومعارفها . فتردد الطلاب ، من غرب اوروبا وغيرهم من التجار

نسخة مجانية

بلاد العالم الإسلامي ، وتعلموا هناك شتى فنون المعرفة ، مما حرر عقولهم ، وساعد على ظهور عصر النهضة الأوروبية .

مراكز اتصال أوروبا بالحضارة العربية :

بلاد الأندلس : بلغت بلاد الأندلس في ظل الحكم الإسلامي درجة عالية من الحضارة ، وصارت مركز إشعاع للعلم والعرفان عند جيرانها من بلاد أوروبا . فوفد إلى طليطلة وقرطبة طلاب غرب أوروبا ، وتعلموا في المعاهد والجامعات العديدة فيها . وعرف أولئك الطلاب الكثير عن أرسطو وأفلاطون نتيجة قراءة ترجمات كتبهما في العربية . ثم ان أولئك الطلاب اقتبسوا الكثير من دراسات العلماء العرب في الأندلس ، مثل مؤلفات ابن زهر وابن البيطار في الطب ، وابن رشد في الفلسفة .

جزيرة صقلية : وأسهمت صقلية مع الأندلس باعتبارها المركز الثاني الذي نقلت عنه أوروبا الكثير من ثمار الحضارة العربية ، اذ ازدهر الحكم العربي في تلك الجزيرة وجنوب إيطاليا مدى مائة وثلاثين عاماً ، وجاء العلماء العرب الى تلك الجهات الأوروبية حاملين معهم غير الحرب نتائج أبحاثهم ودراساتهم .

وعندما استولى النورمان على صقلية سنة ۱۰۹۱ م حرصوا على استمرار الحضارة العربية في ظلهم . فشجع ملوك النورمان العلماء المسلمين على مواصلة البحث والدراسة . اذ كلف الملك وليم الأول النورماني أحد الجغرافيين العرب وهو الإدريسي بوضع خريطة للعالم المعروف اذ ذاك ، جاءت نموذجاً عالياً لما وصل إليه العرب من سعة اطلاع وبحث عميق . ثم ان كتب أرسطو وأفلاطون انتشر في ترجماتها العربية في صقلية وجنوب إيطاليا ، ثم شقت طريقها الى أوروبا لإيقاظ أهلها ، وبدء عصر النهضة .

| | |
|--|--|
| | <p>(مراكز انتقال الحضاة الامة الى أوروبا)</p> <p>مركز انتقال النفاة الى أوروبا</p> |
|--|--|

الشرق العربي : وكانت بلاد الشرق العربي المركز الثالث من مراكز اتصال أوروبا بالحضارة العربية ، وذلك أيام الحروب الصليبية . فحين جاءت جموع الصليبيين من أوروبا الى الشام ومصر شاهدت تقدم العرب المهائل ، ووقفت موقف التاميد من حضارتهم . فنقل الاوروبيون عند عودتهم من تلك الحروب مئات الترجمات العربية لمؤلفات اليونان القدامى ، وكذلك مؤلفات العرب أنفسهم في شتى ميادين المعرفة ، مثل الرياضيات والطب والفلك . وعندما أقبل الطلاب في أوروبا على البحث والدراسة في المراجع العربية مما أثار عقولهم ، وحررها من الكثير من الاوهام والخرافات ، وساعدهم على بناء عصر النهضة الأوروبية .

وأخذت أوروبا عن الشرق العربي الكثير من الصناعات ، مثل صناعة الحرير والسكر والورق ، ثم تابعت على هديها تقدمها الصناعي . وكانت لهم الأوروبيين شديداً الى اقتناء كل ما وصل اليه العرب من تقدم ، ومن ذلك « الاسطرلاب » وهو الاداة التي استخدمها العرب لضبط القبلة وتعيين مواقيت الصلاة ، إذ استخدم الأوروبيون الاسطرلاب في الملاحة ، وشجعهم على المغامرة في البحار والكشف ، وظل عمادهم حتي ظهرت المخترعات الحديثة في القرن السابع عشر .

وبذلك أخذت أوروبا عن مراكز الحضارة الاسلامية قبساً من المعرفة أخذ يبدد ظلمات العصور الوسطى فيها تدريجياً ، وهياً لشمس النهضة أن تشرق .

۲ - الآداب الانسانية

احياء الدراسات اليونانية واللاتينية :

ترتب على انتشار الترجمات العربية لمؤلفات اليونان القدامى في أوروبا ظهور

ميل شديد لإحياء الدراسات اليونانية واللاتينية . فأقبل الناس على تعلم اليونانية واللاتينية ، ووجدوا في آدابها تحرراً لعقولهم من أفكار العصور الوسطى ، وسبيلاً واسعاً لتذوق الجمال وجميع أنواع النشاط الإنساني ولذا اطلق على تلك الآداب القديمة اسم الآداب الإنسانية (Literare Humanae) لأنها تدور حول حياة الإنسان وما يتصل به ، بخلاف ثقافة العصور الوسطى التي انحصرت اهتمامها في الروحانيات والعالم الآخر .

هجرة علماء القسطنطينية الى اوروبا :

وعاصر اهتمام أوروبا بإحياء الدراسات اليونانية واللاتينية اشتداد ضغط الأتراك العثمانيين على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، وكانت تلك المدينة عامرة وحافلة بالعلماء الأفذاذ في الدراسات اليونانية ، فاضطروا الى الهجرة الى إيطاليا . ثم جاء سقوط القسطنطينية نهائياً في يد العثمانيين في سنة ١٤٥٣ فكان عاملاً دفع كثيراً من العلماء اليونان الى حمل مؤلفاتهم وكنوزهم العلمية والاستقرار نهائياً في مدن إيطاليا .

وتابع أولئك العلماء في وطنهم الجديد دراساتهم اليونانية ، إذ لقوا من حكام إيطاليا كل تشجيع وتقدير ، وتولوا أرفع المناصب في المدارس الإيطالية وجامعاتها . وساعدت تلك النهضة أهل أوروبا على معرفة علوم اليونان القدامى ، ووضع الحجر الأساسي في نهضتهم العلمية .

احياء علماء ايطاليا للغة اليونانية :

وعاصر نشاط علماء القسطنطينية في مدن إيطاليا ظهور طائفة من أبناء تلك المدن نفسها ، اهتموا بإحياء اللغة اللاتينية وآدابها . ومن أولئك العلماء بترارك Pertrarch (١٣٠٤ - ١٣٧٤) .

نسخة مجانية

ولد هذا العالم في أريتزو (من أعمال تسكانيا في إيطاليا) وعندما شب وكبر زار روما ، وأثر في نفسه كثيراً الفرق بين عظمتها القديمة واضمحلالها الحديث . ومن ثم بدأ يفكر في اللاتين القدماء ، وتحمس لمشاعرهم وأفكارهم فأخذ يجمع المخطوطات اللاتينية ، ويقلد أسلوبها تقليداً محكماً . واستطاع بذلك أن يتذوق الآداب القديمة ، وطالب بأن تبقى اللغة اللاتينية محور الدراسة ، وان تكون مدخلاً لتجسّد جديد في الدراسة ، ونظرة متفائلة الى الحياة . ووضع بترارك مؤلفات باللاتينية كانت بمثابة التعبير الحر لمجتمعهم ، وتصويراً للطبيعة لما فيها من جمال وسحر .

بوكاشيو Boccaccio (١٣١٣ - ١٣٧٥) :

واستمرت الدراسات اللاتينية بعد بترارك ، وخلفه عدد من تلاميذه الذين اهتموا باليونانية كذلك وآدابها . ومن أمثال هؤلاء بوكاشيو ، الذي حاكى استاذة بترارك في شغفه بدراسة آداب القدماء ، وبذل جهداً كبيراً في سبيل نشر اللغتين اليونانية واللاتينية في إيطاليا . ونال بوكاشيو شهرة ذائعة حين وضع مائة قصة ، سماها « الأيام العشرة » Decameron ، على أساس أن سردها يستغرق عشرة ايام . وأظهر بوكاشيو في هذه المجموعة احتقاره لخرافات العصور الوسطى وتقاليدها البالية ، ونظر الى الحياة نظرة مرحة باسمة .

دور النقد :

وأثارت دراسات بترارك وبوكاشيو موجة من اقتناء كتب القدامى وآدابهم . فظهرت مجموعة من الجامعيين ، تنقلوا في مختلف أنحاء أوروبا وخارجها للبحث عن مخطوطات القدماء وجمعها . ولقوا تشجيعاً من الأمراء حفزهم على

جمع تلك الكنوز القديمة بشق الطرق ، ومنها الاحتياال والحداع في بعض الأحيان .

وأعقب هذا العمل دور النقد ، إذ أقبل الناس على التراث القديم يدرسونه ، ويهملون ما لا يتفق وأوضاعهم ونظمهم ، ويستفيدون مما يناسب ميولهم وأذواقهم . وبذلك أخذت روح البحث والنقد الجديدة تقضي على جهالة العصور الوسطى ، وتضع الحجر الأساسي للتقدم العلمي في عصر النهضة .

٣ - ظهور اللغات الحديثة

أثر الشعور القومي :

وكان من مظاهر انهيار الإقطاع وانتشار الروح القومية استخدام سكان المدن للغاتهم القومية . فبينما تابع العلماء احياء الدراسات اللاتينية واليونانية ، استمرت لغة الكلام في أوروبا تبعد تدريجياً عن اللاتينية ، وتتفرع الى لهجات عدة ، بحيث صار في كل جهة لهجة خاصة . وما زالت هذه اللهجات تنمو حتى اصبحت كل لهجة لغة قائمة بنفسها ، على الرغم من أنها جميعاً مشتقة ومؤسسة على اللغة اللاتينية . وأهم هذه اللغات الإيطالية والفرنسية والانجليزية والاسبانية والبرتغالية .

ولم يلبث أن ظهر بعض الكتاب والأدباء النابهين ممن ثاروا على العصور

« اصول العالم الحديث ١ / ٣ »

الوسطى وجمودها ، وأخذوا يكتبون بلغة شعوبهم . فالفوا الروايات والأغاني التي انتشرت بين الحاهير حيث رددوها وأدوها في شتى المناسبات . ثم انصرف هؤلاء الكتاب إلى ادخال التحسينات اللازمة على هذه اللغات ورفع مستواها ، حتى صارت صالحة لتدوين العلوم والآداب .

دانتي Dante (١٢٦٥ - ١٣٢١ م)

وهو أول من استعمل اللغة الايطالية في التأليف ، ودون بها كتابه الشهير « الكوميديا الإلهية » (The Divine Comedy) . وهي رحلة تخيلها دانتي إلى العالم الآخر ، ووصف ما شاهده هناك وصفاً تجلت فيه عبقريته كشاعر ، وصارت من روائع الشعر الايطالي والعالمي .

وانتشر بعد ذلك في سائر بلاد اوروبا استخدام اللغات الحديثة في الآداب . فكتب تشوسر (Chaucer) في إنجلترا « قصص كانتربري » باللغة الانجليزية ، وألف سرفنتيز (Cervantes) بالأسبانية قصة « دون كيخوت » وكتب مونتاني (Montagne) في فرنسا مقالات رائعة في الأدب الفرنسي .

واستمرت اللغات الحديثة تنمو وتتطور وترسخ أقدامها حتى أصبحت أداة من أدوات انتشار العلم وتثقيف الأذهان في عصر النهضة .

٤ - التقدم العلمي

روح البحث والنقد :

كانت العصور الوسطى جامدة في روحها معادية للبحث والتجارب ، فهي

تحتقر الحياة المادية وما يتصل بها من اهتمام بحياة الإنسان المادية وسعادته .
ذلك أن رجال الدين في العصور الوسطى في أوروبا حاربوا كل حرية في التفكير
أو البحث العلمي ، واتهموا كل من أقدم على شيء من ذلك بالكفر والخروج عن
الدين وضرورة عقابه وسجنه .

ولما جاء عصر النهضة ، وظهرت حركة احياء العلوم القديمة ، وكذلك
انتشرت اللغات الحديثة صار الناس على أبواب عهد جديد من التقدم العلمي .
فقد تبددت سحب الجهالة الراسخة على عقولهم ، وصاروا أحراراً في بحث كل
شيء ونقد ما يصل إليهم من علم ومعرفة . وقاد هذه الروح الجديدة في أوروبا
نفر من العلماء الأفاضل ، أسهموا بجهادهم في وضع أسس التقدم العلمي الباهر الذي
تتمتع به أوروبا في العصر الحديث . ومن هؤلاء العلماء :

١ - روجر بيكون (Roger Bacon)

وهو رائد البحث العلمي بمعناه الحديث ، فقد ظهر في إنجلترا في القرن
الثالث عشر ، ونادى بضرورة إخضاع علوم القدامى مثل أرسطو وأفلاطون
للبحث والتجربة ، لأن ذلك هو السبيل للعلم الصحيح .

وتنبأ بيكون بإمكان الوصول إلى اختراع سفن تسير بآلات دون حاجة
إلى مجدف أو شراع ، وطائرات يحرك الإنسان أجنحتها كما يفعل الطير ،
ومفرقات ملتبهة تبديد الجيوش ، ومصابيح تضيء دون أن ينفد وقودها ،
وغير ذلك من الاختراعات (التي توصل إليها الإنسان فعلاً في العصر الحديث) ،
ولكن الناس من معاصري بيكون وجدوا في آرائه اراجيف شيطانية ، ونوعاً
من السحر ، وانتهى الأمر بدخوله السجن .

نسخة مجانية

٢ - كوبرنيكس (Copernicus) (١٤٧٣ - ١٥٤٣ م)



كوبرنيكس

وهو عالم من أهل بولندا اشتهر بدراساته في علم الفلك ، واستطاع بفضل أبحاثه المتواصلة أن يهدم النظرية الفلكية القديمة السائدة في العصور الوسطى ويستبدلها بالنظرية التي سارت على هديها العصور الحديثة . إذ اعتقد القدامى أن الأرض مركز الشمس والكواكب التي تدور حولها . ولكن كوبرنيكس أثبت خطأ هذا الاعتقاد ، وبرهن على أن الشمس هي مركز المجموعة الفلكية ، وأن الأرض وبقية الكواكب تدور حولها .

أما سبب الحركة الظاهرية للشمس والكواكب فهو دوران الأرض حول محورها مرة في كل يوم .

٣ - جاليليو (Galileo) (١٥٦٤ - ١٦٤٢ م)

وهو عالم من أهل إيطاليا ، واستطاع بفضل استخدامه المنظار لأول مرة في رصد الكواكب تأييد نظرية كوبرنيكس . وتمكن جاليليو أن يخطو بالدراسات الفلكية خطوات واسعة إلى الأمام ، وأثبت خطأ كثير من النظريات الشائعة في العصور الوسطى . غير أن الكنيسة ثارت ضد آراء جاليليو وألقت عليه القبض وقدمته للمحاكمة بتهمة خروجه على آرائها وتعاليمها . واضطر هذا العالم الإيطالي أن ينكر أبحاثه أمام تعسف رجال الكنيسة ويحتفظ بها لنفسه سراً .

٥ - الاختراعات العلمية

البارود :

ساعد اختراع البارود على انهيار نظم العصور الوسطى القائمة على الفروسية واستخدام الحصون والمعقل . إذ قلب هذا الاختراع الأنظمة الحربية ، وصار الفارس الاقطاعي لا يأمن على نفسه أمام البارود الذي دك حصونه وقضى على شجاعته . ودخل المجتمع الأوروبي في سباق علمي واسع المدى منذ اختراع البارود لخلق أسلحة حربية جديدة شديدة الفتك والدمار . وما زالت تلك المخترعات الحربية تغير من أوضاع المجتمع الأوروبي على نحو ما غير البارود من الأوضاع الاجتماعية في عصر النهضة .

بيت الابرّة (البوصلة) والاسطرلاب :

وما أن نقل الأوروبيون عن العرب استخدام بيت الابرّة والاسطرلاب حتى تفتحت أمامهم آفاق جديدة . فاستطاع الأوروبيون القيام بحركة كشوفهم الواسعة التي تمخضت عن الوصول الى العالم الجديد . وقد غيرت تلك الكشوف من حياة المجتمع الأوروبي وجعلته يخطو منذ عصر النهضة خطوات واسعة نحو التحرر من قيود العصور الوسطى ، والهجرة الى جهات أرحب وأكثر ثراء من بيئته الأولى .

اختراع الطباعة :

كان اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي أعظم أداة أزلت العقبات التي وقفت أمام المجتمع الأوروبي في سبيل العلم . فكانت الطباعة أهم اختراع ظهر في عصر النهضة ، بل لعله أهم اختراع في تاريخ البشرية . ذلك أن تدوين الكتب في العصور القديمة والوسطى بخط اليد جعل ثمنها مرتفعاً وامتلاكها قاصراً على فئة محدودة من كبار الأمراء ورجال الدين .

نسخة مجانية

« اختراع الطباعة الحديثة »



جون جوتنبرج



هكذا كانت تجري
الطباعة بالألواح الخشبية
في الصين حيث عرفت
الطباعة بهذه الطريقة
قبل القرن التاسع
للميلاد .

« ارشيف بتمان »

وفي سنة ١٤٥٤ اخترع حنا جوتنبرج الألماني الحروف المنفصلة واستخدمها في الطباعة. وكان الانجيل أول كتاب طبع بالطريقة الجديدة سنة ١٤٥٥ م ،



نموذج من الاحرف اللاتينية يرجع عهدها الى القرن الخامس عشر الميلادي

وفي بضع سنوات من ذلك التاريخ انتشرت الطباعة وتقدمت أساليبها في سائر أنحاء أوروبا . وكان من نتيجة ذلك أن تضاعف عدد الكتب ورخص ثمنها وأصبح العلم في متناول الجميع بعد أن كان محاطاً بالحواجز والسدود .

نسخة مجانية

٦ - النهضة الفنية

نشأة الفنون الحديثة :

إذا كانت حركة النهضة بدأت بإحياء الدراسات اليونانية واللاتينية على أيدي الإيطاليين فإن الفنانين الإيطاليين هم الذين كشفوا النقاب كذلك عن جمال الآثار القديمة ، وعملوا على محاكاتها في روحها وتعبيراتها . ومن ثم صارت إيطاليا هي واضعة أسس النهضة الفنية في أوروبا ، وصاحبة الفضل في نشأة الفنون الحديثة ، ولا سيما في ميداني التصوير والنحت .

التصوير :

كان فن التصوير في العصور الوسطى مقيداً بقواعد جعلته غير جدير باسم فن . ذلك أن الرسم اقتصر على الأغراض الدينية ، وخضعت الزخرفة لتقاليد معينة ثابتة ، ولا سيما في أنواع الألوان التي يجب أن يتقيد بها الرسام في رسمه . فإذا تغاضى الرسام عن إحدى هذه القواعد أو أهمل اتباعها في رسمه اعتبر ذلك خروجاً على الدين . وبذلك لم تظهر في العصور الوسطى إلا طبقة من الفنانين المشاهير .

ولكن في عصر النهضة تحرر الفرد من قيود العصور الوسطى وأغلاها ، فازداد تعلقه بالطبيعة وجمالها ، وتقديره لذات الانسان . وتجلى ذلك في تقدم الأساليب الفنية . وتتمثل أهم التطورات الفنية في ادخال التصوير الجصي (Fresco) على الجدران ، واستكشاف التلوين بالزيت واستخدام الألواح

النحاسية وحفر الخشب وطبعه . وبدأ الفنانون يعرضون عن الصور القديمة التي تتصف بالجمود ويحاكون أشكالاً جميلة مستقاة من الطبيعة .

اماتذة فن التصوير :

وظهر في إيطاليا مجموعة من الفنانين المشهورين في فن التصوير . ومنهم « جيوتو » Giotto الذي ظهر في فلورنسا (١٢٦٦ - ١٣٣٦ م) فهول أول من أحل الرسم التعبيري محل صور الأشكال الآدمية الجامدة . وجاء بعد جيوتو ومدرسته في فلورنسا كذلك « ماساشيو » Massaccio الذي أجاد الرسوم الجصية إجادة مدهشة .

ومهدت هذه المجموعة من الفنانين الطريق أمام أعلام القرن السادس عشر ، مثل « ليوناردو دافينشي » و « ميخائيل أنجيلو » و « روفائيل » و « تيتيان » .

النحت :

سما النحت وفاق التصوير في عصر النهضة ، ذلك أن أعلام التصوير والرسم عند اليونان والرومان قد عفى عليهم الزمن ولم تبق سوى أسمائهم أمام فنانى عصر النهضة . أما في النحت فكانت تماثيل اليونان والرومان باقية حتى عصر النهضة ، وبعضها بلغت درجة رائعة من الجمال والقرب من الطبيعة ، مما جعلها نماذج صالحة أمام فنانى عصر النهضة .

وأقبل الفنانون في إيطاليا يحاكون النماذج اليونانية والرومانية ويدرسون أوضاعها الفنية . واشتهر من هؤلاء الفنانين « لورنزو غيبرتي » Lorenzo Ghiberti وهو من أهل فلورنسا ، إذ تجلت مواهبه في نحت أبواب كنيسة فلورنسا ، حتى قال بعض الناس عنها : إنها تستحق أن تكون أبواباً للجنة .

نسخة مجانية

فن العمارة :

شهد فن العمارة تقدماً مستمراً في عصر النهضة . ذلك أن العصور الوسطى احتفظت ببعض مظاهر فن العمارة ، وذلك في الكاتدرائيات التي شيدت على الطراز القوطي . وكان هذا الفن يمثل حماسة الشعوب الجرمانية للدين في العصور الوسطى . غير أن إيطاليا حين أخذت الفن القوطي عدلت فيه بما يتفق وظروف بيئتها ومناخها .

وفي نفس الوقت اهتم الفنانون الايطاليون بالعمارة القديمة نتيجة لاجتماع التراث الكلاسيكي (أي اليوناني والروماني) . وظهرت آيات النهضة الجديدة في العمارة في العودة إلى الأقواس والعقود نصف الدائرية التي امتاز بها الفن الروماني القديم ، وكذلك استخدام الأسقف المسطحة والكرانيش التي تعلو النوافذ كما كان الحال عند اليونان . وبدأت القصور في إيطاليا وكنائسها تلبس ثوباً جديداً من البهاء والرونق .

الفصل الثالث

ايطاليا مهد النهضة الاوروبية

العوامل التي جعلت ايطاليا مهد النهضة :

تفخر ايطاليا بأنها الدولة التي شهدت مولد النهضة الأوروبية العظيمة وتولت زعامتها طيلة القرن الخامس عشر الميلادي ، ويرجع السبب في انفراد ايطاليا بتلك الميزة الجليلة الى العوامل التالية :

موقع ايطاليا الجغرافي :

تقع ايطاليا في وسط البحر المتوسط وهو أهم مركز للتجارة في العالم . فصارت ايطاليا حلقة الاتصال بين أوروبا وشرق البحر المتوسط مما أدى الى اتساع متاجرها ، وازدياد ثرائها . والمعروف أن الثراء يدفع الإنسان إلى الحرية التي هي طريق البحث والاشتغال بالفنون والعلوم والآداب .

وصاحب هذا الثراء ميزة جغرافية أخرى هي قرب ايطاليا من الدولة

نسخة مجانية

البيزنطية ، ذات الشهرة في الدراسات اليونانية . ولذا سهل على الإيطاليين الانتقال إلى القسطنطينية والحصول على ما فيها من كنوز العلماء القدامى .

مدن شمال إيطاليا :

وقد أثرت مدن إيطاليا الشمالية ، مثل فلورنسا وجنوة والبندقية ثراءً واسعاً من التجارة ، بحكم موقعها الجغرافي ، مما هيا لها السبيل للتخلص من قيود عصر الاقطاع في سرعة وصارت سيدة نفسها . وبذلك ظهرت شخصية الفرد الإيطالي في تلك المدن ، وأخذ يعلن عن نبوغه في حرية كاملة ، فانصرف إلى بناء القصور الشاهقة وتأثيثها بأفخر الأثاث وتزيينها بأحلى الفنون . وشجعت هذه الحركة على انصراف الطلاب إلى الفن ودراسته والاقبال على العلوم والآداب القديمة .

ورعى النهضة في تلك المدن الإيطالية قيام حكومات مستنيرة فيها كانت ذات أنظمة راقية تشبه حكومات الاغريق القدامى . فأشركت تلك الحكومات الإيطالية أهالي المدن معها في سياستها ، كما تنافس حكامها وأمرؤها في معاضدة الآداب والفنون حتى يهيء كل أمير لمدينته تحقيق قصب السبق على غيرها من المدن . وبذلك تنافست مدن شمال إيطاليا فيما بينها على اقتناء الكتب القديمة وتأسيس المكتبات الفاخرة وتشيد أبهى العماثر وتزيينها بأجمل الصور .

وتوّج هذه المميزات تمتع مدن إيطاليا بلغة قومية واحدة ، وجو معتدل في الوقت الذي كانت فيه بقية البلاد الأوروبية غارقة في حالة من الجمود والتأخر . وصارت أرض إيطاليا مهد النهضة ومصدر اشعاعها إلى سائر بلاد أوروبا .

مجد إيطاليا القديم :

ولما كانت النهضة أو حركة البعث تقوم أساساً على التنقيب والبحث في آثار القدماء ومخلفاتهم كان من الطبيعي أن تنشأ في بلاد كانت هي نفسها مهداً للحضارة قديمة . فإيطاليا مهد الحضارة الرومانية القديمة ، واحتفظت مدنها بآثار عديدة ونقوش ومخطوطات وافرة ، ولذا كان من الطبيعي أن تبدأ حركة التنقيب عن المخلفات الماضية أولاً في إيطاليا . ووجد الفنانون والعلماء الإيطاليون نماذج عديدة في بلدهم حاكوها ونهجوا على منوالها ثم صاروا أساتذة فيها لسائر بلدان أوروبا في عصر النهضة .

وجود مقر البابا في روما :

وارتبط بماضي إيطاليا القديم قيام مقر البابوية في روما طول العصور الوسطى . فقد اكسب ذلك الوضع الإيطاليين اعتزازاً بسيادتهم الدينية وصار مصدر ثراء لبلدهم بفضل ما تدفق على بلاط البابوات من أموال . ثم أن البابوية نفسها بلغت درجة كبيرة من الضعف والانحلال في أواخر العصور الوسطى جعلها لا تستطيع أن تقف حجر عثرة في سبيل النهضة وتقدمها . ولم يلبث البابوات في روما أن نافسوا حكام مدن إيطاليا في تشجيع الآداب ورعاية الفنون ليكسبوا لأنفسهم جلالاً يعوضهم ما فقدوه من سطوة وسلطان . فهرع الأدباء والفنانون إلى البلاط البابوي طامعين في حسن الجزاء وكرم العطاء . وتجلى ذلك على عهد البابا نيقولا الخامس (١٤٤٧ - ١٤٥٥ م) والبابا ليو العاشر (١٥١٣ - ١٥٢١ م) ، فقد أسهم كل منهما في بناء النهضة في إيطاليا منذ وقت مبكر ، وكفلا لإيطاليا أن تسبق غيرها من مدن أوروبا في ذلك الميدان .

نسخة مجانية

المراكز الكبرى للنهضة في إيطاليا

فلورنسا

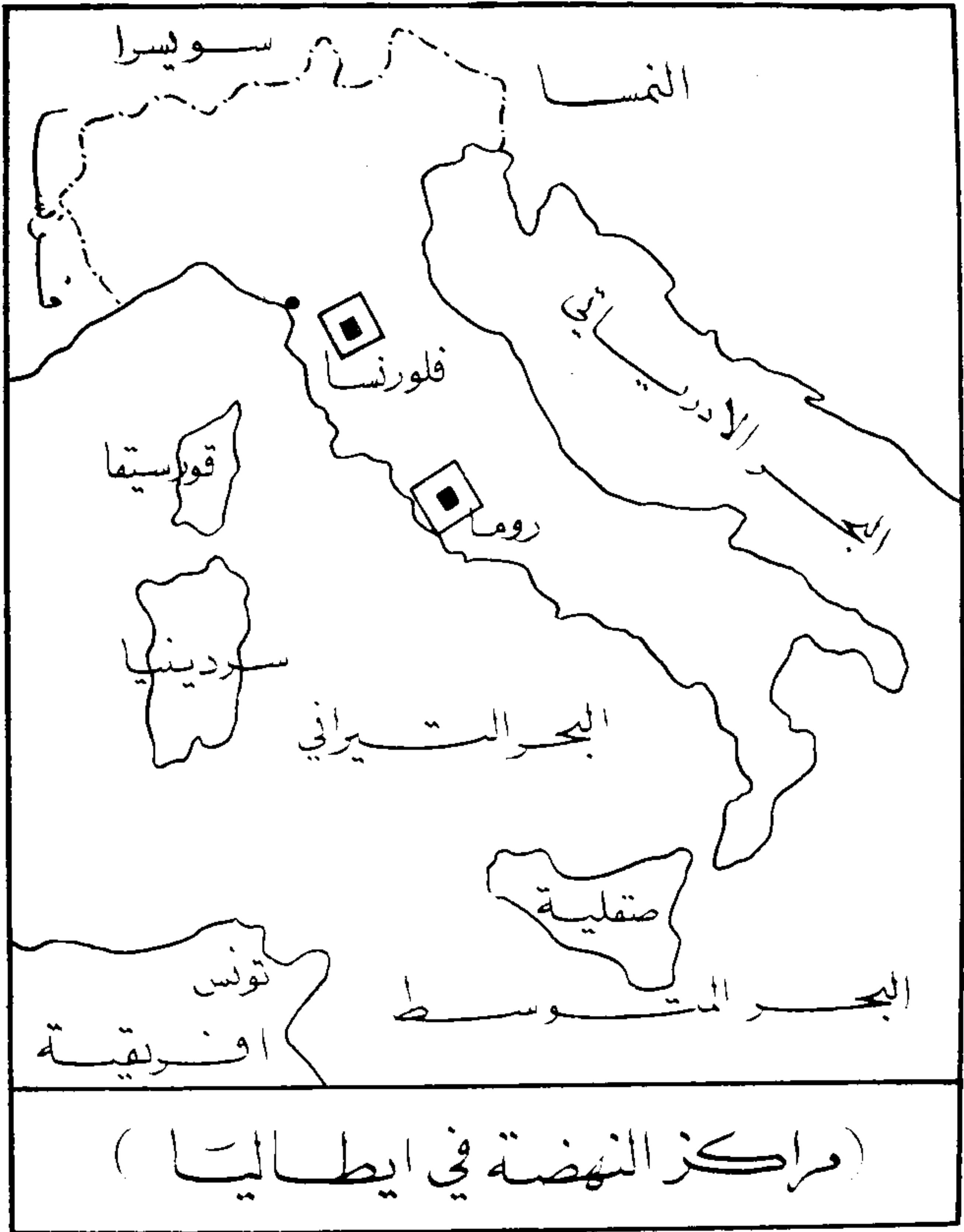
حكومة آل مدتشي في فلورنسا :

حكم فلورنسا في القرن الخامس عشر الميلادي نفر من اسرة آل مدتشي اشتهروا بالمقدرة في السياسة والادارة . واستطاع أولئك الحكام أن يهيئوا لمدينتهم هدوءاً واستقراراً ساعدهما على أن تسهم في حركة النهضة بشتى مظاهرها . فاشتهر آل مدتشي بتقديرهم لنبوغ العلماء والفنانين ومساعدتهم بالأعطيات الجزيلة . ومن أمثلة ذلك الأمير « كوزيمو دي مدتشي » إذ دأب على منح الأموال للفنانين فضلاً عن إغراقهم بالهدايا من الأرض والدور ، وعاملهم معاملة الاصدقاء . وكان حفيده « لورنزو » يقتفي أثره في رعاية الفنون والآداب وإجلال العلماء وتشجيع الفنانين . ذلك أن هذا الأمير كان هو نفسه شاعراً محباً للفن متحمساً للغة الإيطالية :

وتجلى دور فلورنسا في عصر النهضة الأوروبية فيما يلي :

جمع المخطوطات القديمة :

كان لبيت مدتشي عملاء في شتى أنحاء أوروبا والشرق العربي ، مهمتهم جمع المخطوطات اليونانية . وأنفق آل مدتشي بسخاء في تلك السبيل حتى صارت لديهم مجموعة ثمينة من كنوز العلماء الأقدمين . واشتهر من هؤلاء العملاء « فسبا زيونا دابستيكا (Vespasiana Da Bistici) وهو من أهل فلورنسا



نسخة مجانية

وعاش على شراء وبيع المخطوطات ، وعمل عنده عدد كبير من النساخين واشتهر كذلك أحد العلماء وهو نيكولا دي نيكولا ، (Niccola Di Niccoli) يجمع المخطوطات وإهدائها لآل مدتشي ، وبلغ ما أعطاه لكوزمو مدتشي ثمانمائة مخطوط .

اكاديمية فلورنسا :

وأسس آل مدتشي كذلك في إحياء الدراسات الانسانية بإنشاء أكاديمية لها في قصورهم . وبلغت تلك الأكاديمية أوج مجدها في عهد لورنزو ، حيث اجتمع فيها كبار العلماء والفنانين . وبرع في ظل هذه النهضة فنانون كبار من أشهرهم :

دوناتلو (Donatello) (١٣٨٦ - ١٤٦٦ م)

وهو من أشهر الفنانين في ميدان النحت ، وكان مغرماً بالقديم ودراسة الخلفات اليونانية واللاتينية . غير أن دراساته اشتهرت بالعمق كما وجد في الطبيعة نماذج حيّة لأعماله . ومن أشهر تماثيله ونقوشه تلك التي تمثل الأطفال وقت نومهم أو لعبهم .

جيوتو (Giotto) (١٢٦٦ - ١٣٣٧ م)

وهو مؤسس مدرسة الرسم والتصوير في فلورنسا في عصر النهضة . وكان في صباه راعي غنم ، ثم شاهده أحد فناني فلورنسا وهو يخط بججر على الصخر صورة الأغنام المجتمعة حوله ، فأخذه معه الى فلورنسا وتعهده بالرعاية والتعليم حتى تفوق التلميذ على أستاذه . واستطاع جيوتو تصوير البيئة التي حوله

تصويراً دقيقاً . واتبع طريقة التصوير الجصي (Fresco) ، وهي أن يرسم التصميم على جدار ناعم من الجص ، ثم يكسو الحائط بطبقة من الجص ، ثم يملأ الرسم بالأصباغ ويترك الجص الممتزج بالأصباغ بعد جفافها .

روما

رعاية البوابات لرجال النهضة :

أسهمت روما في حركة النهضة بإيطاليا ، وصارت أحد مراكزها الكبرى كذلك . فكانت روما حتى الربع الأول من القرن السادس عشر مركز الإشعاع للنهضة الإيطالية على عكس ما يتوهم الباحث لأول مرة . ذلك أن البلاط البابوي لم يقف حجر عثرة في سبيل الدراسات الانسانية ونهضة الفنون ، وإنما تولى البوابات برعايتهم وتشجيعهم العاملين على النهضة والرقى بها . فالبابا في أواخر العصور الوسطى صار بالإضافة الى جانب صبغته الدينية حاكماً دنيوياً لا يختلف عن الملوك والأمراء المعاصرين له .

وتولى كرسي البابوية في روما إبان عصر النهضة نفر من البوابات رأوا في إحياء الدراسات الانسانية وازدياد تقدم الفنون سبيلاً لتدعيم مركزها الديني ، وذلك بنشر الكتب الأصلية للانجيل ، وتزيين الكنائس والكاتدرائيات بأحدث الفنون وأجملها . ومن أمثلة هؤلاء البوابات نيقولا الخامس (الذي تولى كرسي البابوية من ١٤٤٧ الى ١٤٥٥) وليو العاشر (١٥١٣ - ١٥٢١) .

(اصول العالم الحديث / ت / ٤)

اكاديمية روما :

وفي عهد البابا ليو العاشر تقدمت الدراسات الإنسانية والفنون وصار المشتغلون بها لا يقلون سلطة ونفوذاً عن رجال الدين أنفسهم . ففي عهد هذا البابا فاقت روما مدينة فلورنسا على عهد آل مدتشي ، وصار بها أكاديمية علمية تنافس قريناتها من الأكاديميات الإيطالية . وتخصصت أكاديمية روما في دراسة الآثار اللاتينية ، كما ظهر فيها عدد من كبار العلماء المتخصصين في اللاتينية نفسها .

مشاهير الفنانين :

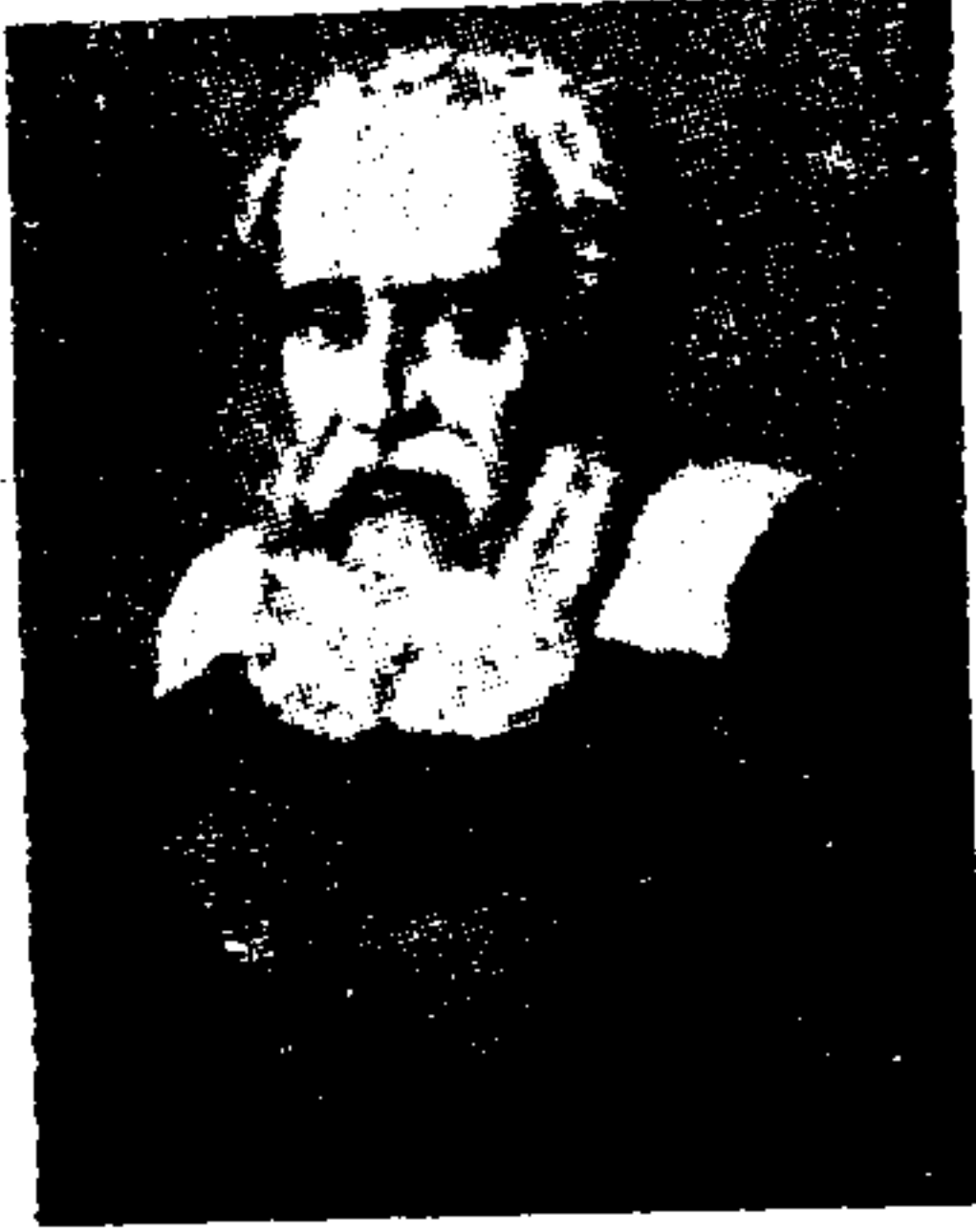
وجمع البابوات في روما عدداً من نوابغ الفنانين لتزيين الكنائس وتجميلها . واشتهر من هؤلاء الفنانين نفرٌ نذكر لك أبرزهم في ما يلي :

ميخائيل أنجلو (Michael Angelo)

وهو من أكبر المهندسين المعماريين في عصر النهضة وصاحب ابتكارات عظيمة في النحت والتصوير والهندسة الحربية . واشتهر ميخائيل بإجادة تصوير الوجوه ، حتى إنه حرّم على نفسه رسمها حتى لا يكلفه أحد برسم وجه قبيح الصورة . وعهد البابا يوليوس الثاني للفنان ميخائيل أنجلو وضع تصميم كنيسة تفوق ما سبقها في الجمال والبهاء . ونتج عن هذا العمل الفني الرائع كنيسة الرسول بطرس الجديدة .

رجال النهضة الاوروبية

« الأدبية والفنية »



دانتي



غاليليو



بوكاشيو



بتزارك

نسخة مجانية

روفائيل (Rafaelo) (١٤٨٣ - ١٥٢٠)

كان روفائيل مهندساً معمارياً ومصوراً معاصراً لأنجلو . وقد ولد في بلدة صغيرة في مقاطعة أمبريا (Umbria) ، ثم قام بجولات عديدة في شتى الأنحاء جعلته يتأثر بالمدارس الفنية المختلفة ، ويصبح فيما بعد الممثل الأول لفن التصوير في إيطاليا في عصر النهضة .

واشتهر روفائيل بصوره المتعددة للعدراء (Madonna) ، وبالصور الجصية في قصر الفاتيكان ، وهي كلها تنطق بالقدرة الخارقة على الإنشاء والابتكار .



الفصل الرابع

انتقال النهضة الى خارج إيطاليا

افول النهضة الايطالية :

في السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر أخذت النهضة الايطالية تخبو ففي سنة ١٤٩٤ غزا شارل الثاني ملك فرنسا إيطاليا عبر الألب ، وجعل من تلك البلاد مسرحاً للفتن والقتال ، وانتهى الأمر في سنة ١٥٢٧ بنهب الجيوش الأجنبية لمدينة روما.

هجرة العلماء من ايطاليا :

وقبل ان تختفي النهضة من إيطاليا بزمن غير قصير أخذت تتسرب مظاهرها عن طريق جبال الألب وممراتها إلى بقية أوروبا ذلك أن نفراً من علماء البلاد الأوروبية وفدوا إلى إيطاليا والتحق بمعاهدها العلمية وتلقن الكثير من معارفها وفنونها . وصار هؤلاء العلماء رسل نشر النهضة من إيطاليا إلى مواطنهم الأصلية . ثم ترتب على اضطراب الامور في إيطاليا في السنوات الأخيرة من

نسخة مجانية

القرن الخامس عشر هجرة علماءها الى سائر البلاد الأوروبية ينشرون فيها أبحاثهم ويتابعون دراساتهم .

إراسمس (Erasmus) (١٤٦٧ - ١٥٣٦)

وبمثل هذه الفئة من رسل نشر الحضارة الإيطالية في بلاد أوروبا العالم إراسمس . وهو هولندي الأصل ولد في روتردام ، وتلقى العلوم الإنسانية في إيطاليا وطاف في كثير من بلاد أوروبا يدرس اللغتين اليونانية واللاتينية ، ويجمع الخطوط المدونة بهما . ورأى إراسمس أن الدراسات الإنسانية هي الدواء لمحاربة أمراض المجتمع وشروره ، ومساوىء الكنيسة والخرافات الاجتماعية .

واجتذبت إراسمس دراسة الكتاب المقدس ، فنشر النسخة الاغريقية الاصلية للإنجيل مرفقة بترجمة لاتينية صحيحة وتفسيرات جديدة . واجتذبت هذه الترجمة القراء ، وفتحت آفاقهم إلى أمور دينهم ، ومقارنة سلوك رجال الدين في أيامهم بما جاء في الإنجيل من تعاليم .

وزار إراسمس كثيراً من جامعات أوروبا ، وحاضر فيها على نحو ما فعل في إنجلترا وفرنسا والمانيا . والتف حوله كثير من الطلبة والمعجبين ، وصار رسول النهضة وناشرها في سائر أنحاء أوروبا .

النهضة في المانيا

جهود العلماء الالمان :

وفد إلى إيطاليا في القرن الخامس عشر الميلادي عدد من الطلبة الالمان

وعكفوا على متابعة الدراسات الجديدة في المراكز الايطالية العديدة . ومن بين هؤلاء الألمان الأول « نيكولا كريس » (Nichols Krebs) الذي اشتهر باسم الكاردينال كوزانس (Cusanus) . فتعلم في جامعة بادوا بإيطاليا واتصل بعلمائها المتخصصين في علوم الرياضة والفلك والجغرافيا ، ثم نقل كثيراً من المخطوطات اللاتينية الى ألمانيا .

حنا روخلن (Johann Reuchlin) (١٤٥٥ - ١٥٢٢)

واشتهر في ألمانيا بالدراسات الجديدة حنا روخلن ، وانصب اهتمامه على العبرية باعتبارها مفتاحاً لدراسة العهد القديم . ونجح في نشر رسالته ، وجذب أنظار الناس الى أهمية الكتاب المقدس وضرورة تفهمه .

وبذلك اتجهت النهضة في ألمانيا لخدمة الاصلاح الديني ، وذلك عن طريق دراسة الكتاب المقدس . وترتب على ذلك ظهور حركة الاصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما .

النهضة في فرنسا

ترحيب ملوك فرنسا برجال النهضة :

تسربت النهضة من إيطاليا الى فرنسا حيث وجد العلماء والفنانون الايطاليون من ملوك فرنسا وأمرائها ترحيباً بالغاً ورعاية جلية . ففي سنة

نسخة مجانية

١٤٥٨ عين جريجوري تفرناس (Gregory Tifernas) وهو إيطالي مدرساً لليونانية في جامعة باريس . وكذلك جاء إلى فرنسا ١٥٠٨ جيروم البندر (Jerome Aleander) ، وهو إيطالي وحاضر في اليونانية واللاتينية والعبرية ، ونال شهرة واسعة أهلتته لأن يكون مديراً لجامعة باريس .

أكاديمية باريس :

وأنشأ فرنسوا الأول سنة ١٥٣٠ كلية فرنسا (Collège De France) بمساعدة الأدباء الفرنسيين الذين أجادوا اللغات القديمة . ومن أمثال هؤلاء بودس (Bucloeus) الذي فاق علماء أوروبا جميعاً في اليونانية . وتولى كراسي الاستاذية في تلك الجامعة علماء أفذاذ منهم أندرين تيورنيب (Andrien Turnebe) الذي تولى كرسي الاستاذية للغة اليونانية سنة ١٥٤٧ .

وتفوق العلماء الفرنسيون في دراسة القانون الروماني القديم أمثال جاك كوجوز (Jacques Cugos) وهو من أكبر المفسرين للأصول القانونية الرومانية في عصره .

واشتهر من علماء النهضة الفرنسية كذلك فرنسوا رابليه Francois Rabelais وكان في أول أمره راهباً ، ثم صار طبيباً محباً للعلم والبحث عن الحقيقة لذاتها . ودفعه حماسه للعلم إلى تشريح جثة إنسان مخالفاً في ذلك أمر البابا . ونشر معلوماته بأسلوب قصصي خيالي ممتع جذب به شوق العامة إلى العلم وأفاد الخاصة في نفس الوقت .

وظهر على مسرح النهضة الفرنسية أيضاً الكاتب مونتاني (Montagne) (١٥٣٣ - ١٥٩٢) ، واشتهر بالصراحة في كتاباته ، والبحث الدقيق في كل

ما نشره من مؤلفات ولذلك صارت مقالاته صفحة جديدة في الأدب الفرنسي لما امتلأت به من الخيال والذوق السليم والعواطف الصادقة . ويعتبر مونتاني بذلك مهد الطريق لظهور علم النفس الحديث .

نهضة الفنون :

ولم تهمل فرنسا في نهضتها النواحي الفنية . وبلغ الفن أوجه في عهد فرنسوا الأول بسبب ولعه بالعمارة التي ما زالت آثارها باقية في فنتنبلو (Fontainebleau) وظهر في عصره أكبر أساتذة فن العمارة وهو بيير لسكوت (Pierre Lescot) الذي أعاد تأسيس قصر اللوفر (Louvre) .

وسار خلفاء فرنسوا الأول على نهجه ، فأمر هنري الثاني المهندس دي لورم (De Lorme) بإنشاء قصر التويليري (Tuileries) في باريس وكان هذا المهندس يسير على نهج فناني إيطاليا في حبه الدراسات العامة دون التخصص في جانب واحد . وقال في ذلك « أحسن الوحي ما يجيء من البلاد التي نعيش فيها وما يعيننا على صوغ الأشياء المناسبة للتربة الفرنسية ولميول الفرنسيين . » .

النهضة في إنجلترا

مصلحو اكسفورد (Oxford Reformers)

ظهرت النهضة في إنجلترا متأخرة عن غيرها من أوروبا بسبب انشغالها

نسخة مجانية

بحرب المائة سنة ، ثم بالحرب الداخلية المعروفة بحرب الوردتين . ولما وصلت أسرة تيودور الى الحكم استقرت الامور في انجلترا ، وبدأت الدراسات الانسانية تمتد من إيطاليا الى انجلترا .

وتولى نقل تلك الدراسات ثلاثة من أهل أكسفورد ، منهم وليم جروسن (William Grocyn) الذي درس في فلورنسا ، وتوماس ليناكلر (Thomas Linacre) الذي زار البندقية والتحق بالأكاديمية الجديدة فيها ، ووليم ليللي (William Lilly) الذي درس اليونانية في روما . وأطلق على هؤلاء جميعاً اسم « مصلحوا أكسفورد » .

وازدهرت الدراسات اليونانية في أكسفورد كذلك نتيجة لزيارة إراسمس ، لها . إذ دعاه أحد أشراف انجلترا لينشر تعاليمه بها . وكثر أصدقاء إراسمس ، ومنهم توماس كولت (Thomas Colet) ، الذي يرجع اليه الفضل في تعليم اللغة الاغريقية في جامعة أكسفورد ، وسير توماس مور الذي اشتهر بنزعائه الانسانية الرحيمة . وأسهم كولت وتوماس مور مع إراسمس ، في نشر الانجيل بطريقة تجعله في متناول شتى الطبقات .

طابع النهضة في انجلترا :

وحفلت النهضة في انجلترا برجال اشتهروا بالأدب والقدرة على التعبير في النثر والشعر ، ومن هؤلاء فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) الذي نقل عن مونتاني أسلوب كتابة لمقالات ، وهوي الموسيقى ، حتى جعلها تعزف في حجرة مجاورة له أثناء تفكيره ، كما حرص على وضع الأزهار والأعشاب العطرة على مائدته لتنعش روحه وذاكرته . وبرع هذا العالم في البحث العلمي من الناحيتين النظرية والتجريبية .

وذاغت في انجلترا ترجمات جيدة لكتب هوميروس ربلوتارك وفرجيل
وأمثالهم ، مما جعل الأدب القديم في متناول الجميع . غير أن الانجليز لم يقلدوا
رجال النهضة الايطالية تقليداً أعمى ، وإنما عملوا على التوفيق في كتاباتهم بين الفن
والعقيدة ، ومن ذلك ما كتبه سبنسر وسير والتر رالي (Sir Walter Raleigh)
وأخيراً بلغ فن التعبير الانجليزي أوجه في روايات شكسبير (Shakespeare) .

وبمقارنة النهضة في انجلترا بغيرها
من دول أوروبا نلاحظ أن حركة
الاحياء في انجلترا لم تتجه اتجاهاً وثانياً
كما حدث في إيطاليا وفرنسا ولم تشمل
الادب فحسب ، وإنما اتجهت الى خدمة
المسيحية كذلك . وترتب على امتزاج
النهضة في انجلترا بالمسائل الدينية
الصراع السياسي الذي أدى إلى حريتها
وظهورها كدولة أوروبية كبرى .



وليم شكسبير

الفصل الخامس

الحركة الدينية في العصور الوسطى

الكنيسة في العصور الوسطى :

كان رجال الدين في أوروبا في العصور الوسطى يؤلفون طبقة منفصلة قائمة بذاتها . فالتقسيم الاجتماعي اذ ذاك جعل رجال الدين هم ممثلي الطبقة الاولى في أوروبا . أما بقية الناس فانقسموا إلى طبقتين : النبلاء وهم رجال الطبقة الثانية وما دون النبلاء ، ويسمون « الطبقة الثالثة » .

وترتب على هذا التقسيم أن صارت الكنيسة على رأسها البابا دولة ضخمة تفوق الدول الزمنية المعاصرة لها . إذ تمتع رجال الدين بالكثير من الامتيازات التي لم يكن يتمتع بها سائر أفراد المجتمع ، ومن ذلك الإعفاء من الضرائب المدنية ، ومحاكمتهم أمام محاكم الكنيسة . وفي نفس الوقت امتلكت الكنيسة إقطاعات واسعة معفاة من الضرائب ، وصار لها الحق في الاشراف على التعليم في جميع مراحلها .

وتجلت قوة الكنيسة في ادعاء البابوية حق السيادة على الأباطرة والملوك في

أوروبا. وعبر عن تلك النزعة الخطيرة البابا (إنوسنت الثالث) (Innocent III) حيث قال « إنه لا خلاص لإنسان في العالم ما لم يخضع للبابا ، فأنا قيصر ، وأنا الامبراطور الحقيقي صاحب السيادة على جميع أمراء الأرض . »

واستخدم البابوات كل بطش لإخماد أي صوت يعارضهم ، وأتهموا المعارضين بالمروق والخروج عن الدين . ومن ذلك ما حدث للحركة التي قادها حنا هس (John Huss) في بوهيميا ضد البابوية ، إذ كانت مصيرها الفشل ، وإلقاء صاحبها في النار . ولكن بذور مناهضة الكنيسة وسلطانها وجدت في عصر النهضة عوامل للنمو ساعدتها آخر الأمر على مقاومة الكنيسة . والإطاحة أخيراً بنفوذها .

العوامل التي ساعدت على قيام حركة الإصلاح الديني

١ - مساوية الكنيسة :

انحطت هبة الكنيسة وعلى رأسها البابا في أعين الناس . ذلك أن المناصب الكبرى في الكنيسة صارت تمنح بالمحسوبية الشائنة لأقارب البابوات وأبنساء أقاربهم . ثم أن جباة البابوية اشتطوا في جمع الضرائب وتكديس الاموال لينفق منها البابوات على مشاريعهم السياسية ومظاهر الابهة والبذخ .

ولما جاء عصر النهضة وظهرت فيه الحرية الشخصية أخذ بعض النقاد ينقدون رجال الكنيسة ويتهمونهم بأنهم صيادون للذهب والفضة ، وأن وظائفهم غدت

نسخة مجانية

تباع وتشترى بثمان معلوم ، وأنهم انغمسوا في شؤون الدولة ، وأهملوا واجبههم الاول وهو إرشاد الناس إلى دينهم . ذلك أن الناس صاروا يهتمون بظواهر الدين والحرص على اقتناء مخلفات القديسين ، والحج إلى مدافنهم وتعذيب أجسادهم دون أن يبادر رجال الدين إلى نصحتهم وهدايتهم . لذا قام فريق ينعي على رجال الدين تراخيهم وكسلهم ، ويصف أساليبهم في الوعظ بأنها رخيصة جوفاء . وبذلك ضاعت هيبة الكنيسة وصار الجو مهدداً للخروج عليها .

٢ - روح الانتقاد :

وشجّع الناس على مهاجمة عيوب الكنيسة حركة إحياء العلوم ، وما صاحبها من نشر للكتاب المقدس في لغته الاصلية ، اليونانية . ثم إن محاولات طبع هذا الكتاب وجعله في متناول الجميع مع شرحه شرحاً مبسطاً جعلت الناس يعرفون حقيقة تعاليمهم ويدركون البون الشاسع بين حياة رجال الدين أنفسهم وبين ما يدعو اليه الكتاب المقدس من بساطة وتكشف . وبذلك ظهرت روح الانتقاد للكنيسة ، بعد أن كان الاعتقاد السائد أن رجالها قوم معصومون من الخطأ ، ولا يصح لاحد مؤاخذتهم أو توجيه أي لوم اليهم . وبذلك انتهى العهد الذي كان فيه القسيس مطاعاً في غير مناقشة ، وحلّ زمن جديد يزن كل شيء بميزان سليم ويجاهد في سبيل تقويم أي اعوجاج مها كان أصحابه .

٣ - ميول الأمراء القومية :

وهيأت النزعات القومية التي امتلأ بها عصر النهضة الفرص للاصلاح الديني . ذلك أن ملوك أوروبا وأمراؤها وجدوا في تشجيع تلك الحركات سبيلاً للتخلص من سلطان الكنيسة والبابوية عليهم ، واسترداد خيرات بلادهم المسلوبة ،

ومنعها من التدفق على روما فكان للكنيسة الحق في تعيين عمال لها في سائر بلاد أوروبا يباشرون سلطانها على رعايا الملوك والامراء . وفضلاً عن ذلك كانت معفاة من الضرائب وتذهب خيراتنا الى جيوب رجال الدين ، وذلك عدا العشور وغيرها من الضرائب التي كان للكنيسة الحق في فرضها من حين الى آخر . وبذلك أحس ملوك أوروبا وأمراؤها أن استقلالهم مسلوب أمام سلطان الكنيسة ، ووجدوا في تأييد حركات الاصلاح الديني وسيلة للتنفيس عن كراهيتهم للبابوية ولاسترداد حقهم الضائع واستكمال استقلالهم .

٤ - صكوك الغفران :

وأخيراً وجدت الحركة سبباً مباشراً لانطلاقها وللجهر بأرائها في مسألة بيع صكوك الغفران . فكانت البابوية ورجال الدين يبيعون تلك الصكوك للناس لإزالة الخطايا والذنوب إذ شاع الاعتقاد بين الناس أن المذنب إذا ندم على خطيئته واعترف للقسيس وغفر له يبقى - بعد وفاته - فترة في المطهر ريثما يزول ما علق به من أدران الذنب ، ثم يدخل الجنة بعد ذلك . ووجدت الكنيسة في ذلك فرصة لترويج صكوك الغفران ، حيث ادعت ان الحصول عليها يخفف من عذاب المطهر .

وأرسل البابا رسله الى سائر أنحاء أوروبا لبيع صكوك الغفران . وبادر الناس الى شرائها لتخفيف عذاب موتهم ولغفران ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر منها . واشتدت حركة البيع في أيام البابا ليو العاشر لينفق من هذا الدخل على بناء كنيسة القديس بطرس . ومن هنا ثارت ثائرة المفكرين وعلى رأسهم حامل لواء الحركة وهو مارتن لوثر ، ونادوا بسوء تصرف الكنيسة وهاجموا صكوك الغفران .

نسخة مجانية

زعماء الحركة الدينية

مارتن لوثر :

نشأته : ولد مارتن لوثر في بلدة أيزلبين بسكسونيا سنة ١٤٨٣ . وكان أبواه فقيرين ، حيث اشتغل والده عاملاً في أحد المناجم . ورغب والد لوثر في أن ينشئ ابنه تنشئة قانونية ويجعله من أهل التشريع والقضاء . فدخل لوثر المدرسة ، ثم انتقل منها إلى جامعة إرفورت حيث قضى أربع سنوات .

غير أن لوثر تعرّض لحالة نفسية فجائية جعلته يشك في إيمانه وما يحيط به من قيم دينية . فدخل أحد الأديرة وواصل هناك العبادة من صيام وقيام وتطهير للجسد ، مستهدفاً الوصول إلى راحة ضميره وصفاء نفسه . ولكن ذلك لم يحقق لمارتن لوثر بغيته ، وكاد القنوط يدب إلى نفسه . ولما علم بذلك أحد زملاء لوثر في الدير نصحه بالآل يقنط من رحمة الله ، وأن يضع كل ثقته في تلك الرحمة ، لأنها وحدها الكفيلة بأن تهديه سواء السبيل ، وألا يركن كلية إلى أعماله وتجاربه في الحياة الدينية .

وكان للنصيحة السالفة أثر عظيم في نفس لوثر ، إذ اطمأن قلبه وصار يعتقد اعتقاداً قاطعاً بأن لا خلاص إلا بالإيمان ، وكرس نفسه بالدعوة إلى مذهبه الجديد .

سخط لوثر على مساويء الكنيسة :

ورأى لوثر أن سبب متاعب الناس هو فشل الكنيسة في أداء رسالتها الدينية ، فهي تحضهم على الأعمال الصالحة ، دون أن ترشدهم إلى سلوك طريق

الإيمان الصحيح ، ولذا صار الناس يتمسكون بظواهر الأمور الدينية وطقوسها مما يعرض الحياة الدينية لخطر محقق .

وفي سنة ١٥٠٨ بدأ لوثر ينشر آراءه في سكسونيا حين دعاه أميرها (فردريك) ليدرس في إحدى جامعاتها . ولم يستهدف لوثر بدعوته إذ ذاك الخروج على الكنيسة ، وإنما رغب في هداية الناس الى دينهم الصحيح . وفي سنة ١٥١١ م زار روما وشاهد الأماكن المقدسة بها . وهناك تغير رأيه نحو الكنيسة ، إذ سمع في روما عن مفسد رجال الدين وسوء سيرة البابوات مما ملأ قلبه بالسخط والغضب عليهم ، وصار يندد بهم في كل مكان ، ولا سيما بعد عودته إلى سكسونيا .

مهاجمة صكوك الغفران :

ووجد لوثر الفرصة مؤاتية ليعلن جهاراً عن سخطه على الكنيسة سنة ١٥١٧ م ، إذ أرسل البابا في تلك السنة راهباً إلى مدينة وتبرج لبيع صكوك الغفران . غير أن لوثر كتب ورقة عليها ٩٥ حجة ضد صكوك الغفران وعلقها على باب الكنيسة . ومن ثم ذاع اسمه في سائر أنحاء البلاد ، وأخذ الناس يرددون تلك الحجج ويتمسكون بها .

وعندما بلغت تلك الأنباء البابا غضب ، وطلب من مارتن لوثر الحضور والتكفير عن الخطأ الذي وقع فيه . ولكن توسط له أمير سكسونيا ، ولذا بعث اليه البابا بنفر من رجاله ليناقشوه في رأيه عن صكوك الغفران ودارت بين الفريقين مناظرة عظيمة انتهت بأن أعلن لوثر أن صكوك الغفران والبابوية

(أصول العالم الحديث ث / ٥ /)

نفسها أيضاً بدع مستحدثة ، ولم تكن معروفة أيام الرسل الاولين وعهد بساطة المسيحية .

الثورة ضد الكنيسة :

وبذلك أعلن لوثر الثورة ضد الكنيسة والبابوية ، والتف حوله ورجال الأدب ، وكذلك الفرسان لمناصرته وحمائته . وزاد ذلك من شجاعة لوثر ، وانطلق يفند مساوىء الكنيسة ، ودعا الفرسان والأمراء سنة ١٥١٩ للقيام بالاصلاح من تلقاء أنفسهم .

آراء لوثر :

- ١ - نشر عقيدة التبرير بالإيمان .
- ٢ - جعل رجال الدين خاضعين للسلطة المدنية .
- ٣ - ليس للبابا وحده حق احتكار تفسير الانجيل .
- ٤ - تقليل الأديرة والسماح للقسس بالزواج .

اتساع ثورة لوثر :

وعندما علم البابا بآراء لوثر أصدر قراراً بجرمانه من الكنيسة سنة ١٥٢٠ . ولكن لوثر لم يعبأ بذلك وأحرق قرار البابا علناً . وعندئذ طلب البابا من الامبراطور شارل الخامس تنفيذ قرار الحرمان ضد لوثر . غير أن الامبراطور دعا لوثر أمام مجمع الماني ، وطلب منه أن يتوب ويرجع عن زيغته ، ولكن لوثر

أبى أن يفعل ذلك دون أن يقنعه الحاضرون من رجال الدين بحجج من الكتاب المقدس .

واعتبر المجمع الديني قول لوثر بمثابة خروج على الدين ، وحكم عليه بالطرده خارج القانون وإهدار دمه وتحريم قراءة كتبه . ولكن هذا المجمع لم يملك السلطة الكافية لتنفيذ قراراته ، لأن كل أمير ألماني كان حراً في تطبيق قرارات المجمع أو رفضها إذا شا . وكان أمير سكسونيا يعطف على لوثر باعتباره أحد رعاياه . ثم إن بعض أصحاب لوثر حملوه سراً الى أحد حصون سكسونيا ليتجنب الوقوع في أيدي السلطات المدنية التابعة للامبراطور ، وليقيم في حماية أمير سكسونيا .

وبقي لوثر في الخبأ الذي التجأ اليه مدة عامين ، قضاهما في ترجمة الانجيل من الاغريقية الى اللغة الالمانية . وساعد ذلك على اتساع حركته وخلق انصار عديدين لها . إذ كان لوثر كاتباً جيد الاسلوب ، وأتاح للمعاصرين من بني قومه الرجوع الى الكتاب المقدس مباشرة وتفهمه دون الالتجاء الى تفسير البابا ورجال الدين .

وبذلك التف حول لوثر أناس كثيرون من شتى الطوائف ، حيث وجدوا في دعوته سبيل الخلاص من بؤسهم أو تحقيق مآربهم . فوجد الفلاحون في دعوة مارتن لوثر سبيلاً للتخلص من بقية قيود الإقطاع ، على حين استهدف الفرسان والنبلاء بتأييدها توسيع نفوذهم والاستيلاء على أملاك الكنيسة .

وبذلك أسس لوثر مذهباً جديداً عرف أتباعه باسم البروتستانت (Protestans) أي المحتجين . وصارت أوروبا تنقسم الى معسكرين ، أحدهما يناصر الكاثوليكية وعلى رأسها الكنيسة والبابوية ، والآخر يدعو الى

نسخة مجانية

البروتستانتية . وانتشر المذهب الجديد في الاجزاء الشمالية من أوروبا وصار قوة لها أهميتها في أحداث تلك الجهات وتطورها السياسي .

كالفن

١٥٠٩ - ١٥٦٤

نشأته :

ولد كالفن سنة ١٥٠٩ ثم درس القانون في فرنسا . غير أنه اهتم بدراسة العلوم الانسانية التي انتشرت إذ ذاك في فرنسا ، وتعلم اللغة اليونانية واستطاع بفضل إجادته تلك اللغة أن يدرس الكتاب المقدس بلغته الاصلية .

وانتشرت في فرنسا آراء لوثر بعد اثنتي عشر سنة من إصداره لحججه ضد صكوك الغفران . غير ان آراء كالفن في الإصلاح الديني لم تكن قد وضحت معالمها في ذلك الوقت . ولكن في سنة ١٥٣٣ بدأ كالفن يهتم بما تردد في فرنسا من آراء حول الحركة الدينية وانتهى الأمر بانضمامه الى الجماعات التي تنادي بالخروج على البابوية وكنيستها وسجن كالفن من أجل ذلك مرتين .

وفي سنة ١٥٣٤ صار كالفن جهاراً من دعاة الحركة في فرنسا ، وموضع إعجاب الناس حتى كثر أنصاره . وعندئذ بدأت السلطات الفرنسية تضطهد كالفن بسبب عداة ملكها فرنسوا الأول لحركة البروتستانت . واشتهر أتباع كالفن في فرنسا باسم الهيجونوت (Huguenot) .

انتقال كالفن الى سويسرا :

واستطاع كالفن الهرب الى سويسرا وأقام في جنيف ، حيث كان إذ ذاك في الثامنة والعشرين من عمره ، وقضى بقية حياته في تلك البلاد ، حتى ذاعت شهرته وهرع اليه الطلاب من كل أنحاء أوروبا ينقلون عنه آراءه وتعاليمه . وأصبحت جنيف ملتقى المضطهدين في سائر الممالك ، ولا سيما في فرنسا وإنجلترا والمانيا والأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا) . وعندما أتت الفرصة لأولئك الطلاب والمضطهدين للعودة الى بلادهم نشروا تعاليم كالفن وآرائه .

آراء كالفن :

بنى كالفن آراءه على تعاليم من سبقه من دعاة الحركة الدينية ، ولا سيما مارتن لوثر . ولكنه استطاع أن يؤسس مذهباً جديداً بسبب علمه الواسع وقوة منطقته وأسلوبه الرصين . وأهم آرائه هي :

- ١ - إدماج السلطة الدينية مع السلطة المدنية .
- ٢ - اشتراك غير رجال الدين في إدارة شؤون الكنيسة .
- ٣ - اختيار الشعب للقائمين بأمر الكنيسة .

نتائج أعمال كالفن :

صار كل فرد يؤمن بأن الله وحده هو المسؤول عن عقابه وثوابه ، وأن

نسخة مجانية

زعماء الحركة الدينية المسيحية



اراسمس



مارتن لوثر



كالفن

الكتاب المقدس هو المرجع الأول والأخير لمن يريد الهداية والارشاد . وتبع ذلك ازدياد جماعات البروتستانت في أوروبا ، ومخالفتهم للكاثوليكية والبابوية ، ومن ثم نشبت حروب طويلة كان لها أثر كبير في تطور الاحداث السياسية في أوروبا .

الباب الثاني

الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الاوروبي

- ۱ - حالة العالم الإسلامي بوجه عام قبل حركة الكشوف الجغرافية .
- ۲ - العوامل التي أدت الى قيام حركة الكشوف الجغرافية .
- ۳ - الكشوف البرتغالية في البحار الشرقية وأثرها في السوق العربية وحوض البحر المتوسط .
- ۴ - الكشوف الاسبانية والبرتغالية وبداية الاستعمار في امريكا .
- ۵ - تفوق هولندا التجاري ومستعمراتها .
- ۶ - التنافس الاستعماري بين اسبانيا والبرتغال ، وبينها وبين هولندا وفرنسا وبريطانيا ، وأثر ذلك في بلدان العالم العربي .

نسخة مجانية

الفصل الاول

العالم الاسلامي قبل حركة الكشف الجغرافية

كتب الأستاذ باركر مؤرخ الحروب الصليبية يشرح ما آلت إليه هذه الحروب التي اشتعلت نيرانها قوية عاتية خلال العصور الوسطى وصفاً مسهباً لهذه الحروب ، يهمننا منه أن نقتطع النص الآتي ، إذ أننا سنتبين من ثناياه أحوال القارات القديمة كآسيا وأوروبا ، وكيف كان حال سكانها ، كما سنتبين حالة العالم الإسلامي قبيل حركة الكشف الجغرافي ، وإليك النص :

لم تجد أوروبا في الحرب الصليبية سبيلاً للاتحاد الداخلي فحسب ومؤثراً جديداً في شتى مرافق حياتها الداخلية ، ولكنها كسبت عن طريقها نظرة جديدة واسعة للحياة . وقد كان هذا الاتساع في مدى النظر أكبر مما كسبته أوروبا من الحروب الصليبية ، إذا أضفنا إليه نور روح الكشف وتقدم الجغرافيا . فقد بدأ عصر الكشف الآسيوي الزاهر في القرن الثالث عشر ، وهو يعادل عصر الكشف الأمريكي في القرن السادس عشر ، إن لم يساويه . وكانت آسيا أثناء هذه الفترة تجمعها امبراطورية مغولية مفككة العرى ، تمتد من القرم وتبريز وبخارى وسمرقند الى بكين . وكان المغول الذين احتفظوا بعقيدتهم

الأصلية متساحين مع العقائد الأخرى ، فضمت بلادهم نقرأ من المسيحيين ، وتطلع المسيحيون المستوطنون الى تحويل بعض جيرانهم الى المسيحية . وعزز هذا الرجاء ميل الأوروبيين التجاري الذي دفع بهم إلى البحث في بلاد المغول عن مراكز للتجارة الآسيوية . وقد كانت البعثات التبشيرية التي أرسلت إلى بلاد المغول ترجو من وراء رحلتها ان تحقق أمل الصليبيين في استعادة بيت المقدس . وقد وجدت هذه البعثات عوناً طيباً في تسامح المغول . وفي ظل هذه البعثات كان يسير التجار الإيطاليون . ولكن كل هذا الأمل المعقود قد تهدم عن آخره ، وتلاشى ذلك الحلم الخادع الذي كان يرسم لأصحابه في الخيال صورة آسيا وأوروبا المسيحتين تحصران بينهما الاسلام ، فلا يصبح بعد ذلك إلا عقيدة متضائلة محصورة في فئة قليلة من الناس في ركن أسبانيا ، وفي جانب من شرق البحر الأبيض المتوسط . وذلك ان ولايات فارس كانت قد دخلت الإسلام سنة ١٣١٦ ، وأسلم أهل وسط آسيا في منتصف القرن الرابع عشر ، كما أقفلت الصين أبوابها في وجه التجارة الأجنبية . فكانت النتيجة انقطاع السبيل بالمسيحية ، على حين اتسعت رقعة الإسلام الذي أدرك شأواً بعيداً من الاتساع بظهور الاتراك العثمانيين . ولكن أملاً جديداً تراءى للغرب الذي لا ييأس ، وكان هذا الأمل الجديد سبباً في أكبر انقلاب عرفه التاريخ . فقد تساءل الأوروبيون إذا كانت طريق البر قد أقفل فلم لا تسلك أوروبا طريق البحر ؟ لماذا لا تبصر الى الشرق وتهاجم الإسلام من خلف ؟ وبذلك يستعيد بيت المقدس .

وهكذا يتبين لنا من حديث هذا المؤرخ كيف كانت حالة العالم الاسلامي قبيل حركات الكشف الجغرافي ، وكيف كانت أوروبا لا تكف عن التفكير في الإسلام والأخذ بثأرها منه ، حتى هداها الفكر الى حركة الالتفاف الجنوبي ، ومحاولاتها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر التي كانت تستهدف تنصير

نسخة مجانية

المغول لحصر الإسلام بين دولتين مسيحتيتين . ثم اتصلت الاسباب بين أوروبا وبين الحبشة للقضاء على مراكز المقاومة الإسلامية في مصر ، ثم حين يئست من طريق الشرق بدأت تتجه الى الغرب للوصول الى الهند وللجنوب للوصول الى بلاد الإسلام ، وهذه هي خطوة الانتقال الكبرى التي تحدد عصراً جديداً من عصور التاريخ ، عصر البحرية الغربية المتفوقة التي تحطم قوات الإسلام البحرية .

العوامل التي أدت الى قيام حركة الكشوف الجغرافية :

يظن الكثيرون أن الكشوف الجغرافية لم تبدأ إلا منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، وأن الأوروبيين وحدهم أصحاب الفضل فيها . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فبداية الكشوف الجغرافية كانت قبل ذلك ببضعة آلاف من السنين ، وأن مجهودات الأوروبيين فيها لم تكن غير تكملة لمجهودات شعوب الشرق القديم ، من مصريين وفينيقيين وعرب . اذ نستطيع أن نجد من بين هذه الشعوب رواداً لحركات الكشف الجغرافي ، ونضرب على ذلك الأمثال فنقول : إن المصريين القدماء كانت لهم جهود مشكورة في كشف حوض النيل والصحراء الشرقية والليبية وشبه جزيرة سينا ، وفي البحر المتوسط حيث وصلوا الى جزيرة كريت ، وفي البحر الأحمر حيث وصلوا الى الصومال . وللفينيقيين أيضاً محاولات ناجحة قاموا بها قبل ميلاد المسيح بمئات السنين ، فارتادوا الجزء الشرقي من البحر المتوسط وكذلك غربيه ، وأسسوا مستعمرات لهم على سواحله ، وعبروا مضيقاً سماه الرومان بعد ذلك مضيق هرقل ، وسماه العرب من بعدهم مضيق جبل طارق ، كما نفذ الفينيقيون الى المحيط الأطلنطي وتركوا آثاراً لهم تدل على حضارتهم في الجزر البريطانية .

أما فضل العرب على الكشوف الجغرافية فهو فضل عظيم ظهر قبل الاسلام ومن بعده أيضاً . فالحضارات العربية الزاهرة التي نشأت في اليمن كانت تركز على ثروات طائلة تدرها عليهم تجارتهم في البحر العربي والمياه الهندية ، كما جاب العرب كثيراً من جهات البر والبحر في آسيا وفي إفريقيا وفي أوروبا . وقد بلغوا في رحلاتهم بلاداً بعيدة مجهولة ، فعرفوا الصين ، واستقرت بعض جماعات إسلامية بها ، كما نزلوا في جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) ، والملايو ، ووصلوا كذلك الى سواحل إفريقيا الشرقية قبل البرتغاليين بعدة قرون ، بل إن فاسكو دي جاما نفسه صاحب الصيت الذائع والشهرة الواسعة استعان بأحد البحارة العرب المقيمين في ساحل إفريقيا الشرقية ليرشده ويوجهه . كذلك وصل العرب الى السودان والصحراء الكبرى ، ووصلوا أيضاً الى حوض السنغال وحوض النيجر ومشارف ساحل غانا . كذلك كانت لهم جولات ناجحة في المغرب والأندلس . ويقال إن بعض العرب المغاربة أبحر غرباً حتى وصل أمريكا ، ثم أقام فيها . وهكذا ترى من هذا التمهيد كيف أن الكشوف الجغرافية لم تكن كشوفاً أوروبية بحتة كما يحلو لبعض المؤرخين أن يزعم ذلك ، وإنما كان للعرب خاصة ولأمم الشرق عامة فضل ظاهر في هذه الكشوف . ورحلات المستكشفين العرب لا زالت آثارها موجودة ومسجلة يمكن أن يشاهدتها من يرتاب في فضلهم .

ولعلنا نحاول الآن أن نتبين الأسباب التي دفعت الأوروبيين الى القيام بحركة الكشف الجغرافي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين . ولعل أول هذه الأسباب هو ما اصطلح المؤرخون على تسميته بالعامل السياسي . ذلك أنه عزز على كثير من الإمارات المسيحية في أوروبا ، وبخاصة إمارتي أراجون (Aragon) وقشتالة (Castile) أن تعترف بهزيمتها الساحقة في الحروب الصليبية . ذلك أن عرب الشرق في مصر والعراق وسوريا كانوا قد اتحدوا

نسخة مجانية

اتحاداً رائعاً مكنهم من سحق جيوش الصليبيين . ولكن عرب اسبانيا كانوا على العكس ، فقد كان نجمهم في أفول مستمر ، والانقسام يدب سريعاً في صفوفهم ، ومن هنا قويت الامارات المسيحية واستعادت أراضي اسبانيا. أضف الى ذلك ان البرتغاليين كان قد قوي شأنهم منذ القرن الثالث عشر ، واستطاعوا التخلص من حكم العرب ، ثم لم يقنعوا بذلك بل راودهم حلم جميل ، وهو تكوين امبراطورية ، ثم الكيد للعرب في اراضيهم ، ولكنه كان وهماً لم يستطيعوا بلوغه . ولذلك ظهرت محاولاتهم في تسيير السفن حول شاطئ إفريقيا الغربي ، ثم النزول بالحبشة والتعاون مع ملكها برستر جون (Prester John) من أجل تطويق العرب ، ثم النيل منهم في عقر دارهم .

كذلك استطاعت اسبانيا أن تتخلص من حكم العرب لها ، فرأت أن تحذو حذو جارتها البرتغال ، فتتوسع شرقاً على حساب العرب ، ثم تحاول أيضاً النيل منهم . بل كانت نياتها تزداد سوءاً ، إذ عزمتم على ان تطعن العرب من الخلف ، ومن هنا كانت الكشوف الأسبانية الجغرافية .

كما أن الجانب الاقتصادي كان له أثر كذلك في توجيه حركات الكشف الجغرافي . ذلك أن البرتغاليين والأسبان فكروا في طريق جديد للتجارة يغنيهم عن تحكم العرب ، أو العثمانيين أو غيرهم . فقد تحكم العثمانيون منذ القرن الخامس عشر في طريق التجارة المار بآسيا الصغرى وجنوب شرق أوروبا ، في حين تحكم العرب في مصر وسوريا في طرق برية أخرى وبحرية كذلك . لذلك تعين على التجارة الأوروبية أن تدفع رسوماً باهظة نظير السماح لها بالمرور عبر هذه الطرق . ولم يجد الأوروبيون مفرأ من البحث عن طريق جديد للتجارة ، إذ لا يستطيعون سحق هذه القوى التي تتحكم في طريق جديد للتجارة ، كما انهم لا يستطيعون الاستغناء عن اشرق وتجارته ، ولا سيما أن موارده كانت في هذه الفترة من الغزارة والوفرة بحيث لا يمكن إلا أن يصيبوا من ورائها ربحاً وفيراً .

أما الناحية العلمية الثقافية فقد كان لها أيضاً نصيب غير قليل في توجيه الكشوف والحث على المضي فيها . فقد ظهرت أمام العلماء والباحثين أفكار وقفوا منها موقف الشك حيناً وموقف اليقين حيناً آخر ، ولكن سواء اعتمدوا على الشك أم انتهوا الى اليقين فلا بد من الأدلة والبراهين . والرحلات الفردية التي قام بها بعض المغامرين نشرت صوراً مختلفة عن الأرض وشكلها ، كما أذاعت أفكاراً جغرافية وفلكية ، بالإضافة الى الأوصاف العديدة لهذه البلاد ، من حيث ثرواتها الاقتصادية أو أحوالها الاجتماعية . وكان يشوب هذه الأوصاف الكثير من الغموض والطرافة ، مما أثار في الناس الاستطلاع وحفزهم على الكشف ، لا سيما أن وسائل هذا الكشف لم تعد صعبة . فالسفن البحرية أصبحت تبني على نطاق واسع ، حتى لقب بعض المؤرخين هذا العصر بعصر الملاحة البحرية ، واعتبر ذلك من مميزات الدول الناهضة . كما ان ازدياد البحار لم يعد في نظر الكثيرين أمراً مخيفاً بعد أن أمكن التحكم في الاتجاهات المختلفة لاستخدام البحارة للبوصلة والاسطرلاب .

الكشوف البرتغالية :

تقترن حركة الكشوف البرتغالية باسم الأمير هنري ، ثالث أبناء الملك حنا الأول ، ملك البرتغال ، وكان هذا الأمير رياضياً وجغرافياً كذلك . وكانت معلومات كثيرة قد تسربت عن بلاد غانة ، فرأى الأمير المغامر أن الفرصة سانحة للوصول الى هذه البلاد وانتزاعها من يد المسلمين ، ثم احتكار تجارتها ونشر المسيحية بها . وبالفعل استطاعت بعوث هنري الملاح أن تسير بمحاذاة ساحل افريقيا الغربي وتصل الى مصب السنغال ١٤٤٦ ، ثم واصلوا الرحلة حتى بلغوا ساحل غانة . أما أملهم في الوصول الى الحبشة فقد تبدد إذ وقفوا عند هذا الحد مؤقتاً .

نسخة مجانية

إلا أن حركات الكشف البرتغالي لم تنته بوفاة هنري رائدها الأول ، بل استمرت بعد ذلك . ففي ۱۴۸۶ استطاع بارثلميو دياز Barthlemew Diaz الوصول الى أقصى الطرف الجنوبي من إفريقيا ، ثم الدوران حول الرأس الذي عرف فيما بعد باسم رأس الرجاء الصالح (Cape of Good Hope) . وقد كان



هنري الملاح

(احد رواد الكشف الجغرافي)

في عزم الرجل المضي في السير ، إلا انه تعرض لثورة عنيفة من بحارته ، فقد ظنوا ان الموت قد أحاط بهم ، وان الخير والنجاة في العودة ، وامتثل الرجل لهم . ومما تجدر الاشارة به هنا ما سبق ان أشرنا إليه في مبدأ هذا الفصل من ان التجار العرب كانوا يعملون مع المستكشفين البرتغاليين كأدلاء وموجهين . وفي سنة ۱۴۹۷ سافر فاسكو دا جاما ليكمل رحلة بارثلميو دياز ولكنه كان أكثر جرأة منه ، إذ شق طريقه في المحيط الاطلنطي دون ان يلتزم الساحل ، كما

اعتاد المستكشفون الأولون . ولما بلغ رأس الرجاء الصالح دار حوله ، ثم اتجه شمالاً بجذاء شاطئ إفريقيا الشرقي ، فوصل الى الهند عند ساحلها الغربي بعد ان عبر المحيط ، ونزل بمدينة قاليقوت . وكذلك لا يفوتنا أن نشير هنا للمرة الثالثة ان فاسكو دا جاما قد استعان هو الآخر ببحار عربي أرشده الى الهند عبر المحيط ، ثم عاد الى بلاده بعد غياب عامين محملاً بالبضائع الهندية . ذلك انه نجح في استمالة حاكم مدينة الزامرين وعقد معه معاهدة . أما طابع رحلات البرتغاليين فقد كان في مجموعه بعيداً عن معاني الإنسانية : كانوا يبطشون بأهل البلاد التي ينزلون بها ويسومون أهلها سوء العذاب ، ولا يتورعون عن قتلهم بالجملة وعن حرق سفنهم .

من رواد الكشف الجغرافي



فاسكودا جاما

اثر الكشوف الجغرافية البرتغالية في
السوق العربية وحوض البحر المتوسط :

كانت التجارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى تسير في طريقين :
الطريق الأول عبر مصر ، وذلك عن طريق البحر الأحمر الى السويس ثم القاهرة
بالقوافل ، ثم في النيل على ظهور السفن في فرع رشيد الى مدينة الرحمانية
قرب الاسكندرية ، ومنها الى اوروبا عن طريق البحر . والطريق الثاني هو
طريق الخليج العربي ونهر الفرات ، ثم الى حلب ومنها الى مدن الساحل ، ثم

(اصول العالم الحديث - ٦)

الى أوروبا . وكانت سلاطين المماليك يحكمون الشام مع مصر ، لذلك كانت أرباحهم من التجارة أرباحاً وفيرة . ومن هنا أصاب البلاد انتعاش اقتصادي ظهرت آثاره جلية واضحة في مباني هذا العصر ، وفي ما سادته من فنون مختلفة كما أن وفرة المال في أيدي السلاطين دفعتهم الى خفض الضرائب على الزراع والصناع والتجار . وهكذا فقد كان الانتعاش شاملاً شعر به كافة الأفراد على اختلاف مهنتهم . وظلت مصر على هذه الحال حتى تم كشف طرق الرجاء الصالح ، فإذا بالكساد والبوار يجلان بالبلاد وبعضان بأحوالها وسكانها عصفاً شديداً . فأسواق القاهرة العامرة تصبح خاوية لا تجد فيها غير فئة قليلة من البائعين ، والاسكندرية يهجرها سكانها وتتحوّل الى قرية ساحلية ، بعد أن كانت ثعراً دولياً عظيماً . وكل ما تبقى لمصر من علاقات تجارية تربطها بالخارج هي مجموعة حاصلات تستورد من بلاد العرب والحبشة والسودان وبلاد المغرب ، كالبن والصمغ والعاج وريش النعام والزيت والجلود والأغطية الصوفية والعقاقير والشمع وتصدر الفائض من هذه السلع الى الشام وتركيا وفرنسا ، بالإضافة إلى بعض الواردات التي كانت ترد الى مصر من فرنسا وتركيا والشام ، مثل المنسوجات الصوفية والحريية والمعادن .

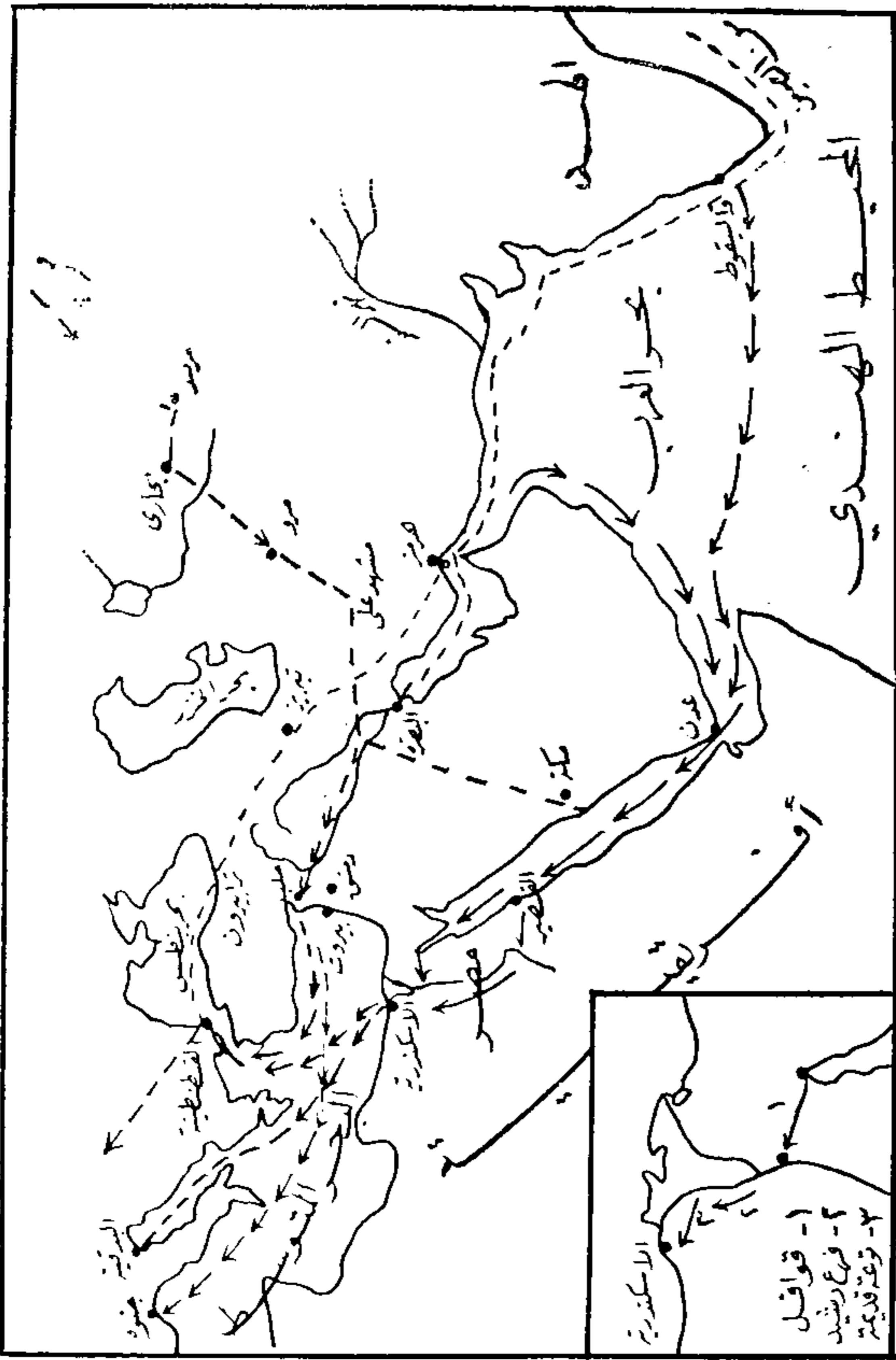
هذا ولم يقتصر أثر تحول طريق التجارة على مصر بل شمل كذلك حوض البحر المتوسط وسائر دول الشرق الأوسط . وظل العثمانيون في غفلة لا يعيرون الأمر أدنى اهتمام ، وبدلاً من أن ينهضوا لمقاومة الاستعمار البرتغالي ويتحالفوا مع البنادقة كما فعل سلاطين المماليك نجدهم يناصبونهم العداوة ، فأمعنوا هم بدورهم في منافستهم . وبذلك أصبح البرتغاليون أصحاب السلطة العليا ، وخلا الجو لهم ، وراحوا يؤسسون المستعمرات على ساحل الهند ، والهند الشرقية ، بل استولوا أيضاً على الموانئ الشرقية لشرق أفريقيا . فتأثرت التجارة المسارة بأواسط آسيا في فارس والعراق وآسيا الصغرى والشام وتجارة اليمن والحجاز

الطرق التجارية المائية بمصر وسواحل البحر المتوسط

المحيط الهندي



(مرور التجارة بمصر)



وهكذا أصبحت السوق العربية عموماً تعاني من وطأة الكساد وشدة البوار مما جعل الأزمات الاقتصادية تبدأ في الظهور في نطاق الشرق عامة .

الكشوف الاسبانية :

يعد كريستوف كولمبس رائد الكشوف الاسبانية الأول . وقد أغرم هذا الرجل بالملاحة وارتداد البحار منذ شبابه ، كما كان دائم القراءة والاطلاع على كل ما كان قد كتب في زمانه عن الأرض والبحار والمحيطات . وكذلك كان رسم الخرائط وحل العمليات الحسابية شغله الشاغل . وقد عزم على تنفيذ فكرة جريئة سيطرت على تفكيره ، وهي الوصول الى شرق آسيا وبلاد الهند ، لا بالسير شرقاً أو جنوباً ، وإنما بالسير غرباً عبر المحيط الأطلسي .

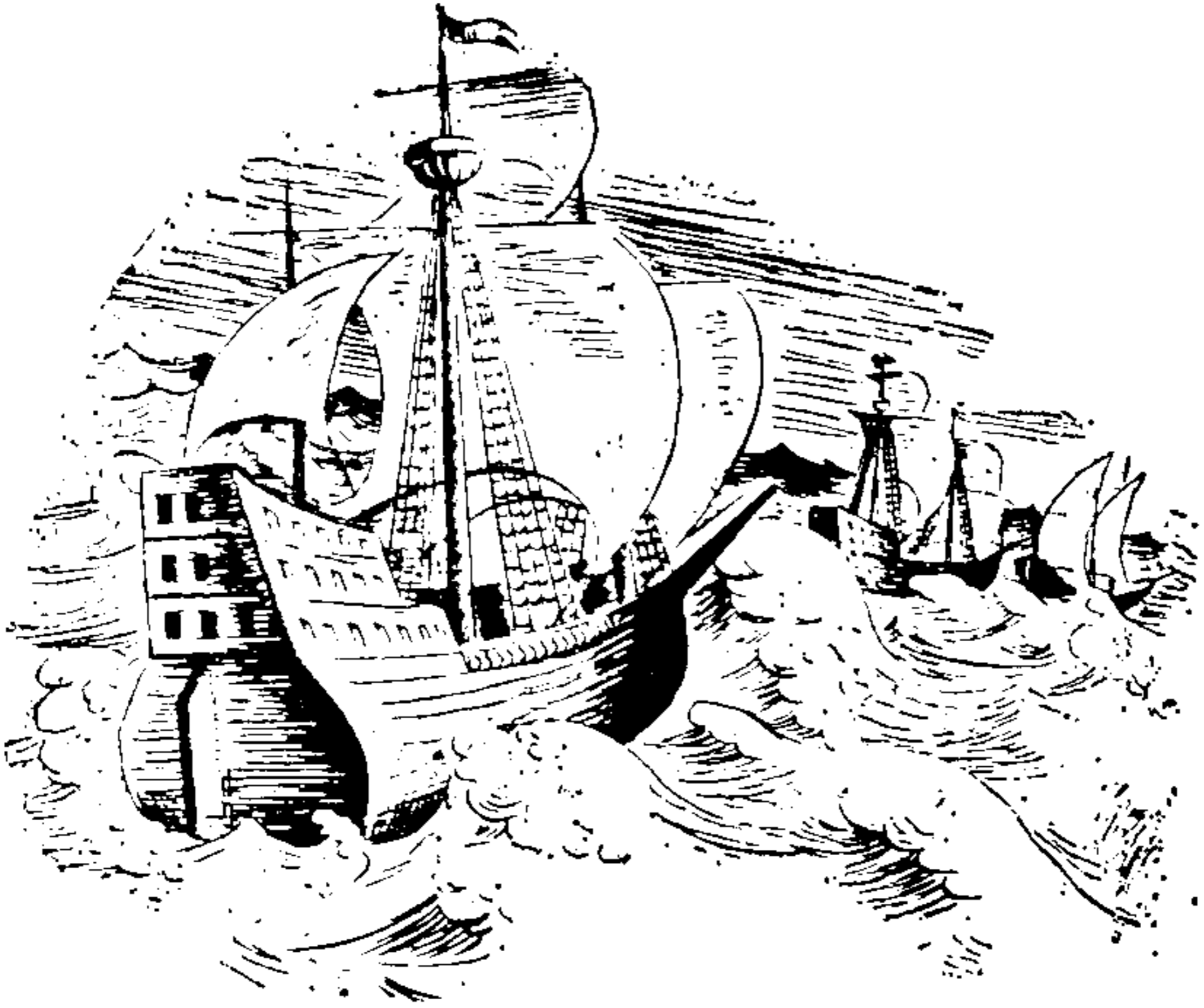


خريستوف كولمبس
من رواد الكشف الجغرافي

غير أن المشكلة التي كانت يواجهها هذا المغامر هي كيفية إقناع الرفاق والبحارة الذين سيلازمونه في مغامرته ، ذلك أنه قد ذاعت في أيامه أقوال كثيرة وأساطير عديدة عن البحار جعلت مشروعه لا يخلو من عقبات . ومع ذلك فقد تجرأ الرجل وتقدم ملتصقاً من إيزابيلا وفرديناند ، ملكي اسبانيا ، طالباً معاونتها على تحقيق هذه الفكرة . وكان

يظن ان مشروعه هذا لا يتطلب إلا أياماً معدودات ثم يجد نفسه في جزر الهند الشرقية . وأجيب الرجل إلى ملتصقه ، وأبحر في ١٣ اغسطس ١٤٩٢

من أسبانيا في ثلاث سفن صغيرة تحمل عدداً من البحارة ، ومن بينهم المرشدون العرب الذين رأينا المستكشفين البرتغاليين جد حريصين على البحث عنهم والاعتماد عليهم .



خريستوف كولمبس في رحلاته البحرية

لم تكن رحلة كولمبس كما زعم لرفاقه نزهة لا تستغرق سوى أيام قليلة ، بل أمضى البحارة ورائدهم قرابة شهر دون أن يروا أثراً للأرض . وهنا جن جنونهم ، وراحوا يذكرونه بالأقوال الذائعة عن هذه البلاد ، وعزموا على الفتك

نسخة مجانية

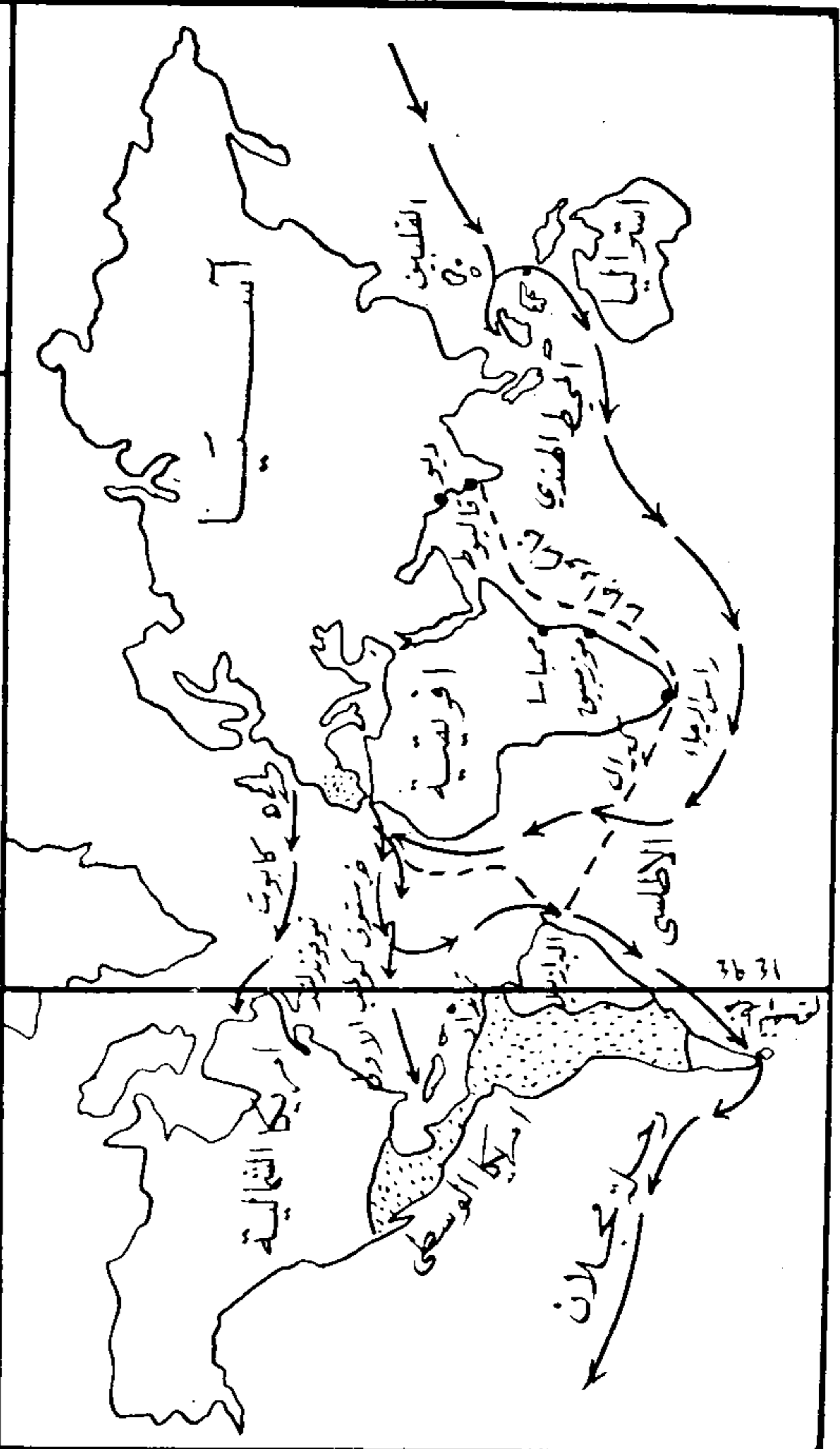
برائدهم . غير أنهم فوجئوا برؤية جزيرة صغيرة ، فنزلوا فيها ، وكانت جزيرة « البهاما » من جزر الهند الغربية . وقد ظن كولمبس أنها إحدى جزر آسيا . وبعد أن أمضوا في التجوال في هذه الجزيرة عدة أيام عاد كولمبس ورفاقه الى أسبانيا عام ۱۴۹۳ . وقد أغره هذا النجاح الذي أصابه في حركته الكشفية الأولى أن يتبعها بحركات ثلاث أخرى ، اكتشف فيها جزراً أخرى . ثم وصل إلى شاطئ أمريكا الوسطى وشاهد شاطئ أمريكا الجنوبية ، ومات عام ۱۵۰۶ وهو لا يدري أنه كشف عالماً جديداً . وعلى الرغم من ذلك فقد نال شرف كشف هذا العالم ملاح آخر ظهر من بعده هو امريجو سبوتشي .

النزاع بين أسبانيا والبرتغال :

مر بنا حتى الآن كيف تزعم حركة الكشف الجغرافي كل من البرتغال وأسبانيا . لذلك بدأت بوادر النزاع تظهر بين الدولتين ، فبعد عودة كولمبس من رحلته الأولى عام ۱۴۹۳ ساورت المخاوف والقلق البرتغال على مصير البلاد التي اكتشفتها ، وكانت تزعم المضي في الكشف الى الهند . فاحتكت الدولتان الى البابا ، فأصدر البابا قراره عام ۱۴۹۴ ويقضي بتصور خط تقسيم من القطب الى القطب ماراً بالمحيط الأطلسي ، على مسافة ۳۷۰ فرسخاً ، أي ما يعادل ۱۱۱۰ أميال غربي جزائر ازوري ، وكل ما يكتشف شرقي هذا الخط يكون من نصيب البرتغال وما يكتشف غربيه يكون لأسبانيا .

والذي يفهم من القرار البابوي الأخير أن الكشف الجغرافي أصبح وقفاً على أسبانيا والبرتغال ، وأن الدول الأخرى ليس من حقها أن تنزل الى هذا الميدان . ومن الطبيعي أن تنفيذ ذلك شبه مستحيل ، إذ لم تكثر الدول الأخرى لهذا القرار ، ولم تلبث أن نزلت الى ميدان الكشف ، مما أدى الى احتدام الموقف وتفاقمه بين الدول .

| | | |
|--|---|---|
| <p>→ رحلات ماجلان -- رحلات بورتغالية</p> | <p>رحلات الكشف والاستعماريين (15, 16)</p> | <p>← رحلات الإنجليزية □ ممتلكات إسبانية</p> |
|--|---|---|



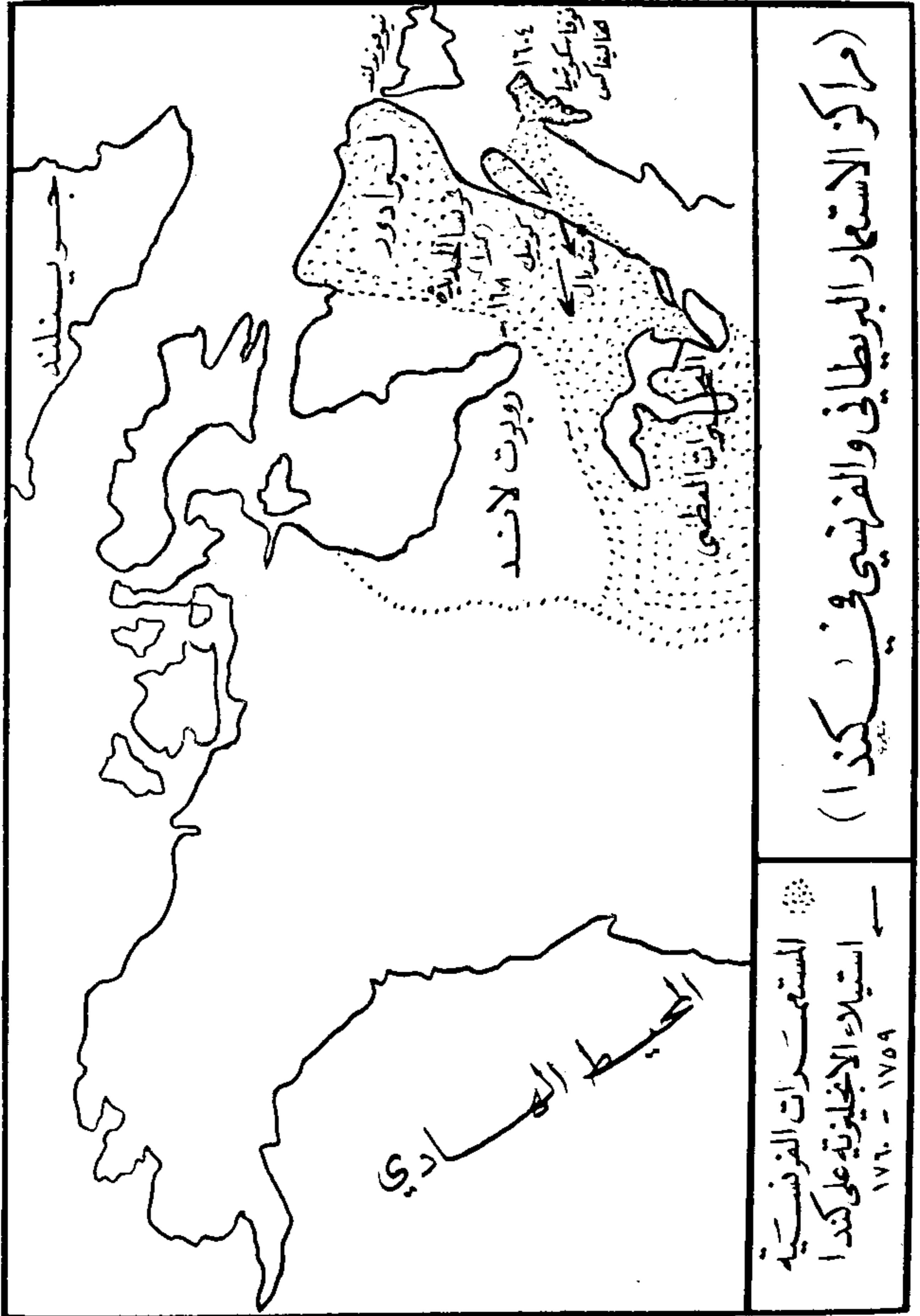
نسخة مجانية

رحلات ماجلان :

في وسط هذا الصراع بين الدول على الكشوف الجغرافية عرض ملاح برتغالي المولد يدعى فردنند ماجلان على الامبراطور شارل الخامس ، حفيد ازابلا ، مشروعاً يدعي فيه إمكان الوصول الى جزر البهار بالنسبة غرباً من الأراضي المستكشفة حديثاً ، ولقي مشروع ماجلان ترحيباً ووقفاً طيباً من نفس الامبراطور ، فزوده بخمس سفن ومائتين وسبعين بحاراً . وأبحر ماجلان في سبتمبر عام ۱۵۱۹ ، فعبر المحيط الاطلنطي ، ثم سار جنوباً بمحاذاة الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية حتى بلغ طرفها الجنوبي ، ووجد مضيقاً أطلق عليه اسم مضيق ماجلان فيما بعد ، فعبره ونفذ الى المحيط الهادي . وفي مارس عام ۱۵۲۰ وصلت الرحلة الى مجموعة جزر سميت الفيليبين ، نسبة الى فيليب ابن ملك اسبانيا . وقد مات ماجلان خلال اشتباك وقع مع الأهالي في هذه الجزر ، فواصل بعض رفاقه الرحلة إلى اسبانيا عبر المحيط الهندي وطريق رأس الرجاء الصالح . وقد ترتبت على هذه الرحلة آثار علمية هامة ، فقد برهنت على كروية الأرض ، وحددت موضع أمريكا ، وكشفت محيطاً واسعاً بينها وبين آسيا ، كما أظهرت أن حجم الكرة الأرضية أكبر بكثير مما يتصوره البعض . ولم يبق بعد ذلك أقطار مجهولة غير استراليا والاقطار القطبية . كما أن هذه الرحلة وجهت أنظار الدول الأوروبية الى ضرورة الإسهام الفعلي في أعمال الكشف ، وأن تقاعدها وتخليها ليس إلا دليلاً على تأخرها . ومن هنا نزلت إنجلترا وفرنسا وهولندا الى هذا الميدان .

بداية استعمار أمريكا :

كان المتوقع أن يحدث تنافس شديد بين اسبانيا والبرتغال على استعمار



نسخة مجانية

أمريكا، وأن يتقدم التنافس فينقلب إلى صراع قد يفضي إلى حرب بين الدولتين ولكن الذي حدث كان على خلاف ذلك تماماً ، ذلك أن البرتغال انصرفت الى تكوين دولة برتغالية عظيمة في المشرق مستغلة تجارة الهند الوفيرة ، بسبل واستثمار البلاد نفسها . وبذلك أصبحت أسبانيا حرة التصرف ، فأطلقت يدها في القارة الجديدة اطلاقاً تاماً مكنها من الاستيلاء على كل أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ، عدا البرازيل ، وبذلت في ذلك جهداً ونشاطاً كبيرين .

الكشوف الانجليزية والفرنسية :

وانصرفت كل من إنجلترا وفرنسا في حركات الكشف الجغرافي التي قاموا بها الى الشمال الغربي ، ولم يكن في تفكير الدولتين أنها بسبيل العثور على قارة أمريكا الشمالية . ففي سنة ١٤٩٧ قام جون كابوت (Cabot) ، وكان إيطالياً يعمل في خدمة إنجلترا بمخاطرة بحرية رائعة . استقل سفينة صغيرة في صحبة ثمانية عشر رجلاً متجهاً غرباً في شمال الاطلنطي قاصداً الشرق الأقصى . وبعد رحلة عانى فيها الأمرين ، وصل كابوت ورفاقه الى جزيرة البرادور ثم الى جزيرة نيوفونلاند ، وفقد الأمل في الوصول الى الشرق . إلا أن ذلك لم يجعله يركن الى اليأس ، ولا سيما أن الملك هنري السابع منحه لقب « أمير البحر العظيم » ، وأجزل له العطاء ، وسمح له بالقيام برحلة ثانية لعله يصيب الهدف الذي كان يرنو إليه . وقد استطاع في هذه الرحلة كشف الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية ، وفتح بذلك السبيل لانجلترا لاستعمار أجزاء من الدنيا الجديدة . ومن الكشوف الانجليزية الهامة كشف استراليا ، وقد تم ذلك على يد كابتن كوك سنة ١٧٦٩ . ذلك أنه استطاع الوصول الى الشاطئ الشرقي للقارة ، ولما أخبر قومه بكشفه الجديد ، سارعوا بإرسال الوفود والمهاجرين للاستيطان فيها وأستعمارها .

أما الفرنسيون فقد أسهموا كذلك في حركات الكشوف الجغرافية ، فوصلوا في النصف الأول من القرن السادس عشر إلى مصب سنت لورنس ، وأشهر رجالهم في ذلك الميدان جاك كارتييه (Carties) وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر بلغ المستكشفون الفرنسيون نهر الميسيسيبي ، ثم أكمل لا سال (La. Salle) كشف هذا النهر ، فوصل إلى مصبه في خليج المكسيك .

أما نزول الفرنسيين ومن قبلهم الانجليز في أمريكا الشمالية فقد كانت بداية تنافس استعماري شديد بينها من أجل السيادة على القارة الجديدة .

تفوق هولندا التجاري ومستعمراتها

ظهور هولندا كدولة مستقلة :

كانت الأراضي المنخفضة تتبع مملكة لوثر حفيد شارلمان ، وذلك بمقتضى معاهدة فردان سنة ٨٤٣ . إلا أنه في العصور الوسطى تجزأت هذه المملكة إلى دوقيات مستقلة ، مثل دوقيات فلندر ، وأرتو ، وهولندا . وكان سكان هذه الدوقيات في صراع مستمر مع عوامل الطبيعة ، فانخفاض بلادهم عن سطح البحر والأنهار العظيمة التي تخترقها جعل من السكان ملاحين مهرة لا يهابون خطراً ولا يخشون بأساً ، فاحترفوا ركوب البحر والتوغل في المحيطات . ثم مرت بهذه الدوقيات ظروف مختلفة إثر حركات الإصلاح الديني وما نتج عن اعتناق الكثيرين لمذهب كالفن ، إذ نهض شارل لمحاربتهم واضطهادهم ، ولما

نسخة مجانية

خلفه ابنه فيليب الثاني سار على نهج أبيه ، مما أدى الى اندلاع ثورة انتهت باستقلال هولندا .

وما إن ظفرت هولندا باستقلالها حتى رأت أنها تستطيع أن تجعل من نفسها دولة قوية ، إذ أن عوامل القوة متوفرة لديها ، فهي أوسع دول أوروبا تجارة مع الشرق ، وأكثرها قوة بحرية ، كما أن استيلاءها على بعض المستعمرات الإسبانية عام ١٥٨٠ قد مكن لنفوذها في الشرق . ولم تجد من ينافسها في نفوذها . إذ اضمحلت كل من البرتغال وإسبانيا صاحبتى النفوذ الأول في الشرق أما إسبانيا فقد أصبحت تئن من وطأة الهزيمة ومن العار الذي لحق بها إثر هزيمة أسطولها العظيم ، المعروف بالارمادا ، أمام الأسطول الإنجليزي عام ١٥٨٨ ، وكانت تتغنى به وتقول : إنه لا يهزم أبداً ، وانتصر الأسطول الهولندي أيضاً على بقايا أسطولها عند جبل طارق عام ١٦٠٧ .

وهكذا أصبحت هولندا الدولة الثالثة بعد إسبانيا والبرتغال في النزول الى ميدان الاستعمار ، بعد أن ساعدتها الظروف كثيراً . وقد نهج الهولنديون نهج البرتغاليين ، في التجارة ، فكان البرتغاليون ينقلون المتاجر الى مدينة لشبونة ومن هذه المدينة استمر الهولنديون في نقل البضائع وتوزيعها على جهات أوروبا المختلفة ، وأصابوا من وراء ذلك الربح الوفير . غير أن ضم فيليب البرتغال الى إسبانيا سنة ١٥٨٠ ، ثم حرمانها من نقل المتاجر إلى لشبونة ومنها الى أوروبا أثار هولندا . فرأى الهولنديون الوصول الى البحار الشرقية بأنفسهم ، ثم إلى أمريكا في الغرب . ولم يستطع الهولنديون أن يصلوا إلى معرفة هذه الطرق من البرتغاليين ، فقد كانت لديهم سرّاً خطيراً لا يبوحون به لأحد . ولذلك ولوا وجوههم شطر البحار الشمالية ، ولكنهم أخفقوا ، وهنا اتجهوا الى الشواطئ الهندية عن طريق رأس الرجاء الصالح . وما أن أشرف القرن السادس عشر على الانتهاء حتى كان الهولنديون قد بسطوا كامل نفوذهم على تجارة تلك البلاد .

شركة الهند الشرقية الهولندية :

كان الهولنديون قد أسسوا شركات تجارية صغيرة في أهم مدن بلادهم للعمل على نشر التجارة وتنظيمها وتوسيع نطاقها . غير أن الحكومة الهولندية رأت أن هذه الشركات الصغيرة لو انضمت الى بعضها ليتكون من المجموع شركة واحدة ضخمة لكان ذلك خيراً وأبقى لها ، ولا استطاعت أن تقاوم منافسة البرتغال الشديدة . وقد تم ذلك بالفعل ، وتأسست شركة الهند الشرقية الهولندية سنة ۱۶۰۲ ، ومقر مجلس ادارتها امستردام ، وتحت إشراف من الحكومة . وفي الواقع كان تأسيس الشركة بداية نهضة تجارية عظيمة من جهة ، ونفوذ استعماري هولندي على البحار الشرقية من جهة اخرى . فمذ سنة ۱۵۹۸ أخذ الهولنديون ينتشرون في البحار الشرقية ، وأسسوا محطات تجارية لهم في جزيرة جارة ، ومنها أخذوا ينشرون تجارتهم ونفوذهم في الجزر المجاورة وسيطروا على معظم جزر (البهار) .

كذلك دأب الهولنديون على تأسيس المحطات التجارية ، فأسسوا محطات لهم في سومطرة وبورنيو وسيلان ، حيث سهل اتصاهاهم بشواطئ الهند ، وأسسوا أيضاً محطات تجارية هناك ، وكذلك استولوا على ملقا مركز تجارة البرتغاليين في الشرق . وساعد ذلك على توسيع تجارتهم مع سيام وجزائر سليمان ، كما تمكنوا أيضاً من الاتجار مع الفرس ومع العرب في جنوب الجزيرة العربية ، حيث نقلوا البن منها الى أوروبا لأول مرة عام ۱۶۱۶ ، كما كانت لهم صلات تجارية بالصين واليابان عام ۱۶۲۳ ، بعد استيلائهم على جزيرة فورموزة .

وقد وصل الاستعمار الهندي الى شواطئ استراليا الشمالية والغربية والجنوبية ، ولكن الهولنديون انصرفوا عنها ولم يحاولوا استعمارها لجذب أراضيها ، حتى نزل بها الانجليز للاستيطان ثم الاستعمار . وكشف الهولنديون

نسخة مجانية

تسمانيا وزيلندا الجديدة ، ولم تفلت من أيديهم جنوب إفريقيا ، وإنما عرفوها واستعمروها عام ۱۶۵۷ ، وذلك عندما أنشأوا كعادتهم محطة عند رأس الرجاء الصالح ، وأخذوا يزيدون من مساحة المستعمرة على الشاطئ، وفي الداخل ، ويشجعون الهجرة إليها حتى تدعم نفوذهم فيها .

شركة الهند الغربية الهولندية :

لما رأى الهولنديون النجاح الساحق الذي أحرزوه في تجارتهم في البحار الشرقية رأوا أن يتبعوا هذا النجاح بنجاح آخر في البحار الغربية ، أملاً في الاتجار مع سكان القارة الجديدة . ولذلك بدأت الرحلات الهولندية الى تلك الجهات منذ سنة ۱۵۹۳ ، حيث وصلوا الى شواطئ البرازيل ووقفوا على ما بها من ثروات ، فعرفوا على الإبقاء عليها وعلى ان لا تفلت من أيديهم ، ومن أجل ذلك تأسست شركة الهند الغربية الهولندية سنة ۱۶۲۱ . إلا أن هذه الشركة جمعت بين الغرض الاقتصادي وغرض آخر ذي صبغة سياسية حربية ، وهو هدم نفوذ البرتغال والاسبان . ولما كان هذا الغرض الثاني يتطلب جهداً كبيراً ومالاً وفيراً لبناء الحصون والمعازل وتشديد الأساطيل الكبيرة فإن ميزانية الشركة بدأت تضمحل رويداً رويداً بحيث ان الغرض الاقتصادي الاساسي من تكوينها أصبح شيئاً ضئيلاً الى جانب مشروعاتها الحربية .

وتطور النزاع بين الهولنديين والاسبان واستمر محتدماً عدة سنوات ، وقد انتهى بسيطرة الأسطول الهولندي وافول النفوذ الاسباني . وهنا وسع الهولنديون نطاق تجارتهم في البرازيل ، ومع ذلك فلم تطل إقامتهم بها ، إذ ما لبث البرتغاليون المستوطنون ان قاموا ضدهم ثأرين حتى تمكنوا من طردهم سنة ۱۶۵۴ . وفي خارج البرازيل ساروا على نهجهم السابق في إقامة المحطات التجارية ،

كما أسسوا مستعمرة كبيرة عند مصب نهر هدسن ، وجعلوا عاصمتها امستردام الجديدة ، وهي مدينة نيويورك الحالية .

اضمحلال الاستعمار الهولندي :

مرّ بنا كيف نجحت هولندا في تأسيس مستعمرات واسعة الأرجاء ، وافرة الثراء عبر البحار الغربية والبحار الشرقية . إلا ان الاستعمار الهولندي في مجموعه كان استعماراً قصير الأجل . إذ لم تلبث أن ظهرت جملة عوامل متتابعة أطاحت به وهيات الفرصة للاستعمار الانجليزي والاستعمار الفرنسي لأن يبسطا ظلها على بقاع عدة في الشرق والغرب . أما هذه العوامل فنجدها تظهر في شكل المستعمرات الهولندية نفسها . ذلك أن هولندا دولة صغيرة قليلة السكان فكيف تستطيع حكم دولة شاسعة تتراعى أطرافها شرقاً وغرباً ، لذلك كان لا بد أن تتسرب عوامل الوهن والضعف إليها مهما طال زمنها ، كما أن هولندا نفسها وان صمدت للمنافسة الأوروبية ، وخاصة أمام فرنسا وانجلترا بعضاً من الوقت فانها لن تستطيع ان تصمد لها طويلاً ، إذ لا بد أن تنهض فرنسا وانجلترا ، ومن الطبيعي أنه لا يمكن أن تحتل هولندا مثل هذا النوع من الصراع وهي كما أسلفنا دولة صغيرة في تكوينها .

والملاحظ أن هولندا أقامت سياستها الاقتصادية في هذه المستعمرات على أساس التجارة فقط ، وأولتها اهتماماً فائقاً بينما أهملت الزراعة والصناعة إهمالاً ظاهراً . ومن المعروف أن الحياة الاقتصادية في العصر الحديث تركز على التجارة والزراعة والصناعة وليس على عنصر واحد منها . وفضلاً عن ذلك فإن التجارة الهولندية لم تكن عامة تشمل كافة السلع والمنتجات الزراعية في البلاد التي استعمرتها ، بل تميزت بصفة خاصة بتجارة التوابل ، وبذلك عرض الهولنديون

أنفسهم للهزات الاقتصادية . إذ لا يبعد أن تضمحل هذه التجارة لسبب من الأسباب ، وهنا يفقدون المورد الوحيد الذي يعتمدون عليه ، مما يعرضهم للافلاس . كما أن الشركات الهولندية كانت تتخذ لنفسها طابع الإحتكار ، بمعنى أنها لا تسمح لغيرها بالتجارة فيما تتجربه ، وهذا يعني أن تكون على يقظة دائمة ، وأن تتبع عن كثب التجار الآخرين ، مما جعلها تقيم المعامل والحراس للمراقبة . واستنفذ ذلك منها جهداً ومالاً ، وجعل الغرض السياسي الحربي يمتزج بالغرض الاقتصادي بل ويغطي عليه .

الاستعمار الفرنسي والانجليزي في الهند :

يبدأ استعمار الهند منذ عام ۱۴۹۸ ، حين نزل فاسكودا جاما في مدينة قاليقوط واحتل رجاله كثيراً من المدن على الشاطئ الغربي ، من جوا إلى هرمز ، وبذلك توطن النفوذ البرتغالي في الهند . ولكن باضمحلال قوة البرتغال منذ أن صارت تحت حكم أسبانيا سنة ۱۵۸۰ أصبح النفوذ لأسبانيا وحدها . وكانت تستطيع أن تدعم هذا النفوذ وتزيده قوة ، إلا أنها أظهرت إعراضاً عن الشرق وتجارته ، وانسرفت الى استعمار أمريكا . وهنا أصبحت الفرصة سانحة لهولندا التي بذلت جهوداً ناجحة في السيطرة على تجارة الهند والبحار الشرقية ، واحتلت أيضاً جزائر الهند الشرقية .

تأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية :

وفي نفس الوقت شعر الانجليز ان انتصارهم على اسبانيا وتحطيمهم لأسطولها سنة ۱۵۸۸ يمكن أن ييسر لهم أمر احتلال الهند ، أو حتى على الأقل الانتفاع بمواردها وتجارته ، لأن اسبانيا تعاني من تحطيم أسطولها ، ولا يمكن أن تفكر

في مقاومتها . ولتحقيق هذا الهدف أسسوا شركة الهند الشرقية الانجليزية سنة ١٦٠٠ بموافقة الملكة اليزابيث الأولى . وسارت الشركة على نهج الهولنديين في تأسيس المحطات التجارية . ومن الطبيعي أن تظهر المنافسة بين الشركتين الهولندية والانجليزية ، غير أن الانجليز جنحوا أول الأمر الى سياسة الود والصدقة ، وتم الاتفاق بين الشركتين على هذا الأساس سنة ١٦١٩ . ولكن الهولنديين أحسوا بخطر التنافس الانجليزي ، فنقضوا الاتفاق الودي ، حتى انهم لم يترددوا في قتل بعض التجار الإنجليز ، فكان هذا إيذاناً ببداية عهد من العداة والصراع بين الدولتين .

ثم اتجه الانجليز الى توطيد مركزهم في الهند ، فعمدت الشركة إلى إقامة المعاقل والحصون لحماية محطاتها وتجارها من أعدائها ، وركزت جهودها في الهند فقط . فتركت جزائر الهند الشرقية ، كما سمح لها حاكم الكرناتك بشراء قطعة أرض على الساحل أقامت فيها حصن سان جورج ، ثم شيدت حوله مدينة مدراس . وبدأت الحكومة الانجليزية تقدر الشركة وتقدم لها المعونات والتأييد من حين لآخر . ومن هنا بدأت الشركة تسير قدماً نحو الأمام ، وساعدتها الظروف كثيراً ، إذ بدأت الشركة الهولندية تتدهور منذ أوائل القرن الثامن عشر .

شركة الهند الشرقية الفرنسية :

حذت فرنسا حذو هولندا وانجلترا ، وانصرفت بكل قواها في تأسيس الشركات التجارية . إلا أن هذه الشركات لم يكتب لها النجاح والتوفيق حتى سنة ١٦٦٤ حين تأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية في عهد لويس الرابع عشر ،

« - اصول العالم الحديث ث / ٧ / »

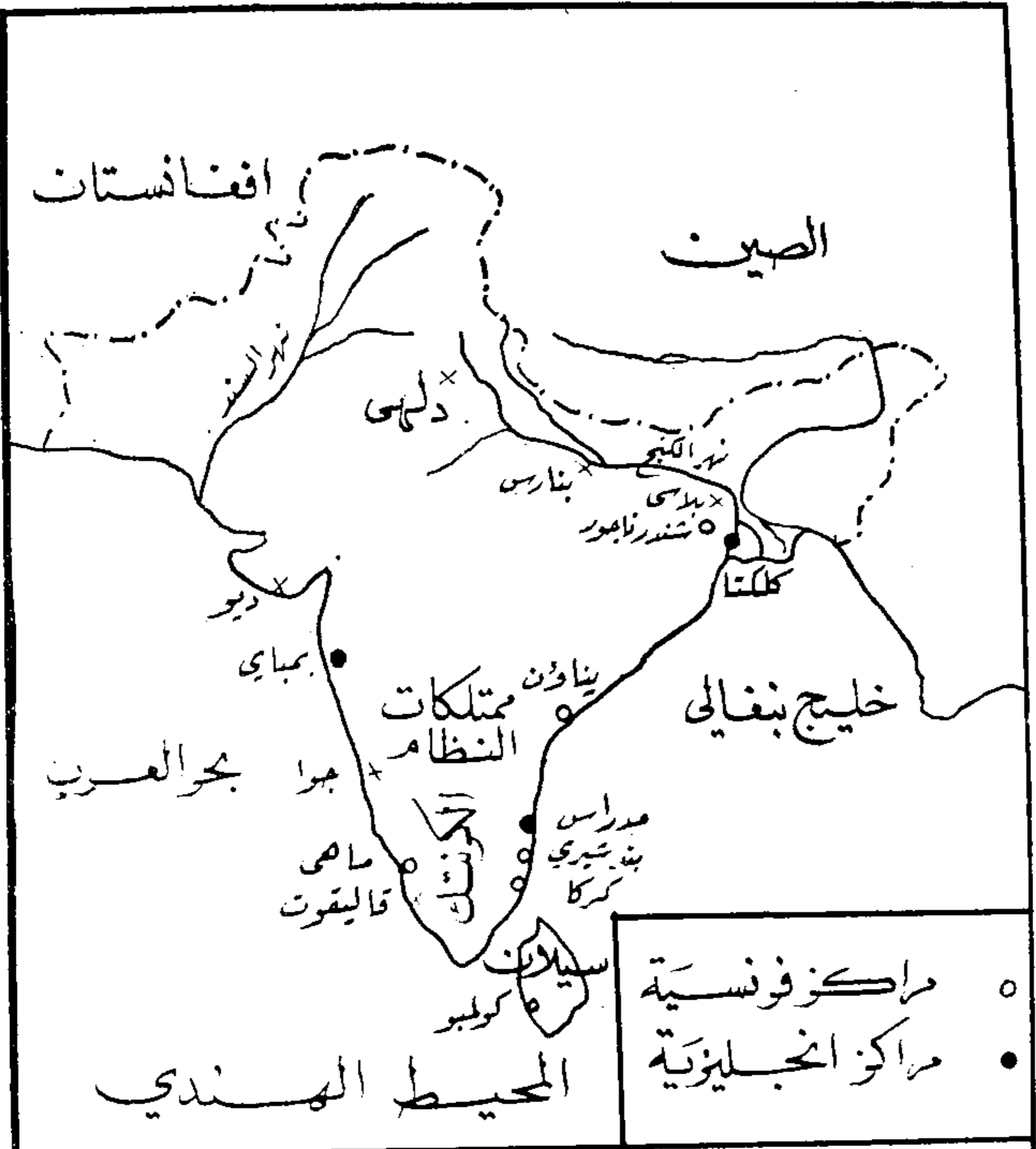
الذي كان يساعدها مساعدة فعالة . وبذلك بدأت أقدام الفرنسيين تثبت في الهند وفي مضار الاستعمار . ومن الطبيعي أن تواجه الشركة الفرنسية مثل ما واجهته اختها الانجليزية من منافسة عنيفة من جانب الهولنديين . واحتدمت هذه المنافسة ، فتورطت فرنسا وأعلنت الحرب على هولندا سنة ١٦٧٤ . واستولى الفرنسيون على مدينة بند شيري في جنوب مدراس وعلى جزيرتي موريس وبربون في المحيط الهندي ، وساعدتهم الظروف أيضاً فاستغلوا اضمحلال النفوذ الهولندي وعملوا على توطيد مركزهم في الشرق ، وزيادة المحطات التجارية والتحسينات اللازمة ، بل اتجهوا أيضاً الى التجارة مع الصين .

وتطورت الأهداف الفرنسية ، فبعدما كانت ذات صبغة اقتصادية مرتبطة بالتجارة أصبح لها أطماع استعمارية ظاهرة . وكانت الهند إذ ذاك تئن من وطأة الازتسام والنزاع الداخلي ، فاعتبرها الفرنسيون فرصة قلما يجود الزمان بمثلها . فعمد ساستهم أمثال دوماس ودوبليه الى تنظيم الاستعمار التام للهند فصار الأول « دوماس » حاكماً عاماً للمستعمرات الفرنسية هناك ، وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٧٤١ . وكانت سياسته الاستعمارية واضحة المعالم ، فهو لا يتوانى عن تشييد الحصون حتى لا يستطيع أحد التعرض للمراكز التجارية الفرنسية ، كما أنه جمع من الهنود جيشاً وقام بتدريبه على الطريقة الأوروبية . أما الثاني « دوبليه » فقد نهج نهج الأول ، بل أصاب نجاحاً أكثر منه ، وكادت الهند تصبح مستعمرة فرنسية خالصة .

التنافس بين إنجلترا وفرنسا في الهند :

تطور التنافس بين إنجلترا وفرنسا تطوراً أفضى إلى قيام نزاع مسلح بين الطرفين خلال الأعوام من ١٦٨٨ الى ١٨١٥ . فقد قامت في هذه الفترة سبعة

نسخة مجانية



(مراكز الاستعمار البريطاني والفرنسي في الهند)

نسخة مجانية

حروب لم يكن قيامها إلا نتيجة حتمية للتنافس بين الدولتين ، وكانت فرنسا هي المتفوقة في بادئ الأمر بسبب السياسة التي جرى عليها دبلوماسيته ومن خلفه . غير أن ظهور روبرت كليف بين رجال الشركة الانجليزية ، واتجاهه الى تكوين جيش من الهنود مدرب على الطريقة الاوروبية ، أسوة بما فعله الفرنسيون من قبل ، كان سبباً في رجحان كفة إنجلترا . ومنذ سنة ۱۷۵۴ بدأ مركز الشركة الفرنسية في الضعف ، وبالتالي بدأ النفوذ الفرنسي في الهند في الاضمحلال ، وفي نفس الوقت ازداد النفوذ الانجليزي .

أثر الكشوف الجغرافية في العالم العربي :

سبق أن أشرنا إشارة عابرة إلى أن كشف طريق رأس الرجاء الصالح واستخدامه في التجارة عاد على العرب بخسارة فادحة ، إذ أنزل بكيانهم الاقتصادي ضربة شديدة ، فضاء على مصر والشام والعراق والجزيرة العربية أموال طائلة كانت تجنيها من التجارة ، كما أنها أصبحت مهددة بالأخطار سواء في البحر العربي أم في المحيط الهندي . وحاول العرب مواجهة البرتغاليين وإعادة التجارة إلى طريقها الأول ، فسيروا اسطولاً من خمسين سفينة لطرد البرتغاليين من المياه الهندية ، ولكنهم هزموا فأعدت مصر المحاولة مرة أخرى مستعينة بالبنادقة ، غير أن نصيب المحاولة الثانية كان كنصيب الأولى . فشل وخسران للعرب وانتصار للبرتغاليين - وذلك في موقعة ديو البحرية عام ۱۵۰۹ .

غير أن العرب صمموا على استعادة كيانهم الاقتصادي ، فأعدوا العدة للمرة الثالثة ، علمهم يستطيعون كسر شوكة البرتغاليين ولكنهم فوجئوا بغزو الأتراك العثمانيين الذين طمعوا في السيادة على الشرق ، وفقدت مصر وكثير من

البلاد العربية استقلالها ، وأصبحت مجرد ولايات تتبع الدولة العثمانية . وبذلك لم يستطع العرب تنفيذ محاولتهم الثالثة . والغريب في الأمر أنه لم يدر في خلد العثمانيين القيام بمثل هذه المحاولة لشل خطر البرتغاليين ، وإنما راحوا يوسعون نفوذ دولتهم شرقاً وغرباً غير عابئين بكيانهم الاقتصادي .

أضف الى ذلك أن العرب قد أصبحوا بعد حركة الكشف الجغرافي معرضين للطعن من الخلف ، ذلك أن الاوروبيين أصبحوا يتحكمون في البحار المحيطة بهم ، وسنرى كيف استغلوا ذلك أسوأ استغلال ضد العرب . وهكذا تعرض العرب لنوعين من الاخطار : خطر اقتصادي نتسج عنه نضوب خزائنتهم ، وخطر سياسي جعلهم يفكرون في حماية أنفسهم وتدعيم استقلالهم وكيانهم . وظهر الخطر السياسي سافراً ، إذ تجلت الأطماع الاوروبية في بعض أجزاء من العالم العربي وبخاصة الأجزاء الجنوبية منه ، منذ بسط البرتغاليون نفوذهم على مدخل الخليج العربي في القرن السادس عشر ، بل اتجهوا إلى محاولات أكثر جرأة كمحاولة الاستيلاء على عدن عند مدخل البحر الأحمر من ناحية الجنوب .

ولما تقلص النفوذ البرتغالي ، وأصبحت السيطرة للانجليز في الهند ، ورثوا عن البرتغاليين مراكزهم في المياه العربية ، وطمعوا في اقتطاع أجزاء من الوطن العربي . فاستولوا على جزيرة بريم عند مدخل البحر الاحمر الجنوبي سنة ۱۷۹۹ ، ثم شرعوا يبدسون نفوذهم على لحج وعدن والبحرين ومسقط وعمان . وفي نفس الوقت عمدت فرنسا الى الانتقام لنفسها من انجلترا ، فالتجهدت الى مصر وسوريا لتتخذ منها قاعدة للزحف صوب الهند ، ولتضرب انجلترا في أغنى مستعمراتها . ومن هنا كانت حملة بوناپرت الفاشلة على مصر عام ۱۷۹۸ ، ومحاولة الفاشلة أيضاً لغزو الشام ، ثم إخفاق مشروع الحملة إخفاقاً تاماً ومغادرتها مصر سنة ۱۸۰۱ . وقد أثر ذلك في موقف انجلترا فرأت أن تؤمن لنفسها مستقبلاً وأن تتحين الفرصة لتنقض على مصر .

الباب الثالث

« تقدم العلوم الطبيعية »

- ۱ - عوامل تقدم العلوم الطبيعية .
- ۲ - مناهج البحث العلمي .
- ۳ - مظاهر تقدم العلوم الطبيعية عند المسلمين والاوروبيين .
 - أ (علم الفلك .
 - ب (علم الكيمياء .
 - ج (علم الطب .
 - د (اكتشاف الكهرباء .

الباب الثالث

تقدم العلوم الطبيعية

تعريف العلوم الطبيعية : هي تلك العلوم التي تقوم على المشاهدة والملاحظة والتجربة كما تعتمد على البحث والاستقصاء والابتكار .

وتضم هذه العلوم : الطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات والأحياء . وهي في ذلك تخالف العلوم النقلية (النظرية) مثل العلوم الدينية والمواد الأدبية وعلوم اللغة .

أولاً :

عوامل تقدم العلوم الطبيعية :

هناك أسباب عدة أدت إلى تطور البحث العلمي وتقدمه أهمها ما يلي :

نسخة مجانية

١ - حركة النهضة الاوروبية :

كان العلم في العصور الوسطى الاوروبية قاصراً على الدين المسيحي والقانون الروماني والفلسفة اليونانية . وكانت العلوم كلها خاضعة لنفوذ الكنيسة البابوية وأحكامها .

وكان رجال الدين المسيحي يحاربون حرية البحث العلمي وبتهمون المفكرين الأحرار بالاحاد والخروج على الدين ويقدمونهم الى المحاكم الدينية . فلما جاء عصر النهضة الاوروبية وما تأثر به من حضارة المسلمين ومدنيتهم ، ومن إحياء حضارة الاغريق والرومان القدامى ، ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي طريقة تحكيم العقل في مناقشة النظريات والآراء السائدة وتمحيصها بالحجة والدليل القاطع . وقد مهدت تلك الحرية في التفكير إلى قيام عدة جامعات في أوروبا، أشهرها جامعة باريس وجامعة سلرنو (في إيطاليا) ثم جامعة اكسفورد وكمبردج (في بريطانيا) .

٢ - الحركة الدينية :

ظهر فريق من زعماء الحركة في أوروبا أمثال : « لوثر وكلفن وإراسمس » وهؤلاء جميعاً قادوا حركة التحرر الفكري ، وأظهروا في أبحاثهم ان الكثير من تعاليم الكنيسة مدسوس عليها ، ولا وجود لها في الكتب السماوية . وقد ساعدت هذه الآراء الجديدة جمهرة من الباحثين والمفكرين على أن يسلكوا الطريق الصحيح والنقد القائم على تحري الدقة في سبيل الوصول الى الحقيقة . وكان من جراء هذا كله أن تزعزعت عقيدة الناس بأعمال الكنيسة واضمحلت بالتالي سلطة البابوية .

٣ - حركة الكشف الجغرافية :

اثبتت حركة الكشف الجغرافي بطريقة عملية صحة عدة نظريات كانت محل جدل ونقاش في العصور الوسطى ، بل كانت معلومات الناس عنها عبارة عن مجموعة من الخرافات والاهام . فتحققت نظرية كروية الأرض بشكل قاطع ووضعت القارات والمحيطات على حقيقتها ، كما صححت الكثير من المعلومات الجغرافية الأخرى . واتسع بذلك نطاق علم الجغرافيا وعلم الفلك .

٤ - اختراع الطباعة :

يعتبر الصينيون أقدم الشعوب معرفة لفن الطباعة ولكن الطباعة عندهم كانت تتم بطريقة بدائية ، ثم نقلها المسلمون عنهم . وانتشرت هذه الطريقة في أوروبا في أواخر العصور الوسطى . وكانت عبارة عن حفر بعض الصور والنقوش على ألواح خشبية (يستفاد منها مرة واحدة) وزاد عليها الأوروبيون حفر الجمل والعبارات أسفل الصورة لتوضح معناها وحل رموزها . وكثيراً ما كانوا يطبعون كتباً كاملة على هذه الطريقة ، غير أنها كانت تكلفهم الكثير من الجهد والوقت والنفقات .

ثم توصل الأوروبيون على يد المخترع الألماني « يوحنا جوتنبرج » (١٤٥٤ - ١٤٩٤ م) الى اختراع طريقة الطبع بالحروف المتحركة بعد جمعها وتركيبها . وما لبث « بطرس شفر » الألماني أن أدخل اصلاحاً كبيراً على الطريقة السابقة فصنع حروفاً معدنية بطريقة السبك .

ونتج عن هذا الاختراع العظيم أن سهلت طباعة الكتب وشاع تداولها بين

نسخة مجانية

الناس ورخصت أثمانها ، فزادت معارف الناس ونضجت أفكارهم واتسعت مداركهم ، وأقبل بعضهم على البحث العلمي بشغف شديد .

ثانياً :

مناهج البحث العلمي :

الطريقة العلمية القديمة عند الاوروبيين : كانت الطريقة القديمة تقوم على الاستقراء والقياس والمناقشة اللفظية والنقل عن الاقدمين .



أرسطو

وقد ظل الاوروبيون زمناً طويلاً شغوفين بدراسة علوم اليونانيين الاقدمين ، أمثال أرسطو وأفلاطون . وكانت نظريات هؤلاء الفلاسفة تدرس على علاتها دون مناقشة أو بحث أو استقصاء ، على اعتبار أن الثقافة الاغريقية القديمة (من وجهة نظر الاوروبيين وقتئذ) أرقى ما وصل اليه العقل البشري ، بل إنهم غالوا في ذلك فاعتبروا ارسطو المعلم الاول للبشرية ، وأهملوا بذلك دراسة العلوم الطبيعية والتطبيقية .

الطريقة العلمية التجريبية عند المسلمين : وهذه الطريقة كانت تعتمد على المشاهدة والملاحظة والتجربة وتطبيق النظريات العلمية لمعرفة مدى صحتها . وكانت الحركة العلمية مزدهرة في العصور الوسطى في معظم أنحاء العالم العربي

الاسلامي . وقد استفاد العرب في ذلك الوقت من علوم اليونان الاولين ، لكنهم بحثوها ودققوها في نظرياتها وعدلوا بعضها وزادوا عليها ، كما ابتكروا أشياء جديدة ، وصححوا الكثير من الاخطاء في كتب الاقدمين . وكان



ابن الهيثم يقوم بتفسير نظرية انكسار الاشعة وقد برهن خطأ النظرية القديمة القائلة بأن الأشعة المرئية تخرج من العين .

نتيجة لذلك أن أخذ الاوروبيون يترجمون إلى اللاتينية علوم المسلمين التي وصلتهم عن طريق الاندلس وصقلية والمشرق خلال الحروب الصليبية واستفادوا منها وساروا على نهجها . ويقول في ذلك عالم فرنسي مشهور : « إن معرفتنا

نسخة ثمانية

بعلوم السلف وحقائق القرون الأولى كانت في الأساس بهمة علماء الاسلام لا بهمة الرهبان . « ويرجع الفضل في نشأة الطريقة التجريبية عند العرب الى العالم العربي الحسن بن الهيثم الذي عاش خلال القرنين الرابع الهجري والخامس الهجري .

الحسن بن الهيثم

۹۶۵ - ۱۰۳۹

نشأته : ولد في مدينة البصرة بالعراق ونزح إلى مصر في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي ، واشتغل بالبحث العلمي منذ شبابه ، فدرس الكثير من علوم اليونان والفرس والهنود القديمة والمترجمة الى اللغة العربية . كما قرأ كتب أرسطو في الفلسفة ، وجالينوس في الطب ، وأرشميدس في الطبيعة وبطليموس في الفلك .

مؤلفاته : كان من نتيجة دراسته لعلوم الاقدمين أن قام بتلخيص بعضها وكتابة مذكرات عنها . ثم بدأ في تصنيف الكتب العلمية وتأليفها ، حتى أنه ترك ثروة علمية كبيرة للمكتبة العربية ولخدمة الانسانية بصفة عامة . ومن أشهر مؤلفاته كتاب « المناظر في الطبيعة » ، وكتاب « الجامع في أصول الحساب » ، وكتاب « الاصول الهندسية والعددية في الرياضيات » ، كما ان له بالإضافة الى ذلك عشرات الكتب في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والطبيعة والهندسة ، ظهرت فيها مواهبه وابتكاراته والتحرر من آراء السابقين وتصحيح أخطائهم .

أشهر نظرياته : نظريته في الضوء التي تقول بأن الشعاع الضوئي يخرج من الشيء المبصر ويقع على العين بدليل أن العين لا ترى في الظلام ولو كانت مفتوحة . وهذه النظرية دحضت نظرية إقليدس القديمة التي تقول العكس ، إن رؤية الاجسام إنما تنشأ عن انبعاث أشعة من العين تسقط عليها ، والاشياء التي لا تقع عليها هذه الاشعة لا تبصرها العين . وقد أثبت علم الطبيعة صحة نظرية ابن الهيثم ، من حيث أن الشيء هو الذي يبعث الضوء الى العين فتبصره .

كما أن له نظريات أخرى فيما يختص بانعكاس الضوء في المرايا وتكوين الصور بواسطتها ، وكذلك ظاهرة انكسار الضوء ، كما علل ظاهرة السراب ورؤية الشمس قبل الشروق وبعد الغروب .

فرنسيس بيكون

۱۵۶۱ - ۱۶۲۶ م

نشأته : ولد في لندن أيام الملكة إليزابيث ، ودرس في جامعة كامبردج ، ولكنه ما لبث ان انصرف عنها لأن الدراسة فيها كانت تقوم على العلوم النظرية ، كفلسفة أرسطو التي رأى انه لن يجني من وراثتها شيئاً سوى المهارة في الجدل والنقاش . فرحل الى فرنسا لمدة ثلاث سنوات ، ثم عاد الى إنجلترا وتقلد بعض المناصب العالية حتى أصبح عضواً في البرلمان الانجليزي .

نسخة مجانية

تقريره الطريقة التجريبية :

۱ - كان روجر بيكون قد سبق فرنسيس بيكون في دراسة علوم المسلمين وتشبع بطريقتهم في البحث العلمي وحث على اتباعها للوصول الى الحقائق العلمية .



فرنسيس بيكون

۲ - فلما جاء فرنسيس بيكون برع الى حد بعيد في منهاج البحث العلمي من ناحيتين النظرية والعملية . فألف غدة مؤلفات في السياسة والتاريخ والأدب والفلسفة إمتازت كلها بغيرارة المادة ودقة البحث .

۳ - ومن أروع انتاجه الفكري رسالته المشهورة التي تخيل فيها جزيرة في وسط البحر منقطعة الصلة عن العالم اعتمد سكانها على عقولهم في كشف ما غمض من أسرار الطبيعة، واكتشفوا الوسائل العلمية لرقى الإنسان والحيوان ، وأدت بهم تلك الحياة الى كشف المنطاد والمسرة والغواصة والطائرة .

۴ - وقد نادى بيكون برسالته السابقة بوجوب جعل العلوم الطبيعية أساساً للمعرفة والبحث ، كما أوصى بوجوب العناية بالأجهزة والآلات التي تستلزمها البحوث العلمية في تجاربها .

۵ - وعموماً فإن طريقته التجريبية في منهاج البحث العلمي المنسوب اليه

والمأخوذة عن العرب قد قررت في جميع المناهج ومواد الدراسة في جامعات أوروبا حتى يومنا هذا .

۶ - وعلى ذلك سارت العلوم الطبيعية منذ القرن السادس عشر الميلادي ، العاشر الهجري ، في طريق التقدم ، مستندة في ذلك على الملاحظة والاختبار والاستنتاج والتطبيق . وقال في ذلك علماء أوروبا في منتصف القرن السابع عشر الميلادي : لن يعيننا بعد الآن ما تحدث به أرسطو ولا ما ارتآه السابق ، لن يعيننا بعد الآن ، لا ما تراه أعيننا بإطالة النظر وإقامة الملاحظة الخ .

۷ - وفي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اتسمت أعمال البحث والكشف عن أسرار الطبيعة اتساعاً مدهشاً ، وتخصص كثير من العلماء في فروع معينة من العلوم ، فضلاً عن انقطاعهم للبحث العلمي ، وأنتجوا للعالم الحديث كل المخترعات والمكتشفات التي ننعيم بثمارها في القرن العشرين .

ثالثاً :

مظاهر تقدم العلوم الطبيعية عند المسلمين والاوروبيين :

اولاً : علم الفلك

الفلك عند المسلمين

مقدمة : كان العرب منذ جادليتهم يعنون بعلم الفلك ، فعرفوا حركات

« اصول العالم الحديث »

النجوم والكواكب ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، كما أنهم مهروا في علم الأنوار وتعرفت أوقات الغيث .

ثم ابتداء اشتغال المسلمين بالفلك بعد ان اطلعوا على ترجمة كتاب « السند هند » الذي جلبه عالم هندي الى بلاط الخليفة المنصور العباسي . فأصبح هذا الكتاب مرجعاً للباحثين في علم الفلك ، بعد ترجمته الى العربية وتصحيح أخطائه . كما تأثر المسلمون بالفلك اليوناني بعد ترجمة كتاب « المجسطي » لبطليموس في القرن التاسع الميلادي .

وقد اهتم المسلمون بإنشاء المراصد لدراسة الفلك دراسة علمية وعملية . وأولها مرصد في « جنديسابور » في أوائل القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، كما أنشأ الخليفة المأمون داراً للرصد في بغداد لدراسة حركات الأجرام السماوية . وأعقبه الخليفة الحاكم الفاطمي الذي أنشأ مرصداً على جبل المقطم في مصر .

ومن أشهر علماء الفلك عند العرب :

۱ - محمد بن ابراهيم الغزالي : يرجع إليه الفضل في استخدام الأسطرلاب (المنظار المكبر) في رصد الكواكب والأجرام السماوية .

۲ - ابو عبدالله البتاني : تمكن بواسطة مرصد مدينة الرقة من تصحيح حساب المدارات وغيره من الكواكب ، كما حدد طول السنة المدارية والفصول ومدار الشمس الحقيقي والظاهري .

۳ - ابو الريحان البيروني : كان من أعمق المفكرين المسلمين في ميدان العلوم الفلكية . فقد ألف في الفلك كتاب « القانون المسعودي في الهيئة والنجوم » ،

وكذلك ألف كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » . وهو عبارة عن دراسة تقاويم الشعوب القديمة ، وهو الذي قام ببحث نظرية دوران الأرض حول محورها . ووصل إلى تحديد دقيق لخطوط الطول والعرض ، مقدراً الدرجة العرضية الأرضية بمسافة طولها $۵۶\frac{۲}{۳}$ ميلاً ، فأمكن بذلك معرفة محيط الكرة الأرضية ونصف قطرها .

الفلك عند الأوروبيين :

تمهيد : أخذ الأوروبيون فكرتهم عن علم الفلك بما درسوه في كتب اليونانيين والهنود والفرس المترجمة إلى العربية بعد نقلها إلى اللاتينية ، فاستفاد منها علماء الفلك في أوروبا بعد التصحيح الذي جرى عليها من علماء العرب . فقد ظلّ الناس قرونًا طويلة يحسبون الأرض مسطحة ، وأنها مركز الكون ، وأن الشمس تدور حولها ، وأن الأرض لا بد مستندة إلى شيء من الأشياء . فاعتقد قدماء الهنود أنها تستند إلى أربعة فيلة واقفة على سلحفاة ضخمة تطفو على سطح المحيط الكوني . كما اعتقد قدماء الأغريق أن رجلاً قوياً يدعى أطلس قد ثارت عليه آلهة اليونان وجوزي على خطيئته بالوقوف وسط المحيط يحمل العالم على كتفه .

فلما ازداد علم الإنسان بالأمم أخذ يعدل في آرائه بالتدريج ، وظهر جلياً خطأ هذه النظريات التي ظلت قرونًا طويلة لا يرقى إليها الشك .

ومن أشهر علماء الفلك عند الغرب :

۱ - كوبرنيكس البولندي : أثبت أن الشمس محور الكون ، وأن الأرض وغيرها من الكواكب السيارة تدور حول الشمس . وكانت وسيلته في الدراسة العين المجردة .

۲ - جاليليو الايطالي: وهو الذي اخترع المنظار المكبر الحديث التلسكوب بواسطة عدستين داخل قصبه جوفاء ، واستخدمه في رصد الكواكب والنجوم ، وامكن ان يحقق نظرية كوبرنيكس ويؤيدها .



اسحق نيوتن

۳ - اسحق نيوتن الانجليزي : وهو الذي كشف قوة جاذبية الارض ، ووضع نظريته الجديدة عدة قوانين وما زالت تحمل اسمه .

وفسر آراءه بأن كل شيء قريب من الأرض مشدود إليها بقوة الجاذبية الأرضية ، كما ان الكواكب تدور دورتها لواسعة حول الشمس ، وفي أفلاك ثابتة منتظمة بفعل جاذبية الشمس .

ثانياً : علم الكيمياء

الكيمياء عند العرب :

كان خالد بن يزيد بن معاوية الأموي أول من عني بنقل علوم الكيمياء القديمة وترجمتها الى العربية في القرن الثاني الهجري . فكلف جماعة من اليونانيين المقيمين في مصر أن ينقلوا اليه كثيراً من الكتب اليونانية والقمبطية التي تناولت

البحث في صناعة الكيمياء العملية ، وغرضه من ذلك الحصول على الذهب عن طريق الكيمياء .

وبمرور الوقت ابتكر العرب في الكيمياء بعض التجارب القائمة على الملاحظة والاختبار . وقد توصل علماء المسلمين نتيجة لأبحاثهم وتجاربهم الى الكشف عن حامض الكبريتيك ، واستخرجوا منه الحامض ومشتقاته ، مثل كبريتات النحاس وكبريتات الحديد ، كما حضروا النشادر بواسطة التقطير ، واشتقوا منه أملاحاً مختلفة ، ومن أهمها تلك التي تستخدم في الاسمدة الكيماوية .

ثم إن العرب نجحوا في كشف خواص الاحماض والقلويات وحضروا الزئبق ، وابتكروا أجهزة للتقطير والتصعيد والخلط والمزج الخ ..

ومن أشهر كيميائي العرب :

جابر بن حيان : يعتبر هذا الرجل مؤسس علم الكيمياء عند العرب وقد ولد في مدينة الكوفة في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) . وقد اتضح من الكتب التي ألفها بنفسه مدى إدراكه لقيمة التجارب في الكيمياء . ومن أهم أبحاثه ومبتكراته وصفه للتكليس والتحويل وصفاً علمياً ، كذلك أدخل تحسينات جديدة على الطرق القديمة للتبخير والتصعيد والاذابة والبلورة ، وعرف تركيب حامض الكبريتيك وحامض النتريك ليخرج منها الماء الملكي ، الذي يمكن أن يذاب فيه الذهب والفضة . وظلت طريقة جابر في الكيمياء قائمة مع شيء من التغيير حتى أوائل عهد الكيمياء في العصور الحديثة .

ومن أشهر علماء المسلمين في الكيمياء أيضاً أبو بكر الرازي وابن سينا وغيرهما . وهؤلاء يعتبرون واضعي أصول علم الكيمياء الحديث . ولا نفعل ما

نسخة مجانية

قام به علماء المسلمين من تطبيق الكيمياء على الحياة العملية ، فاستعانوا به في تحضير الأدوية والمعادن والروائح العطرية ومواد الصباغة والزخرفة .

علم الكيمياء عند الأوروبيين :

نقل الأوروبيون علم الكيمياء عن المسلمين بفضل التراث العلمي الذي تركه العرب في أرض الأندلس وصقلية وبلاد الشام خلال الحروب الصليبية . وكان ذلك في القرن الثاني عشر الميلادي وما يليه .

والدليل على نقل الأوروبيين لعلم الكيمياء العربي ما نراه حالياً في كتبهم الحديثة من المصطلحات الكيماوية العربية ، مثل الكحول والقلي (الصودا) والقطران والصابون وكثير من الكلمات الأخرى .

وقد تمادى الأوروبيون في الأخذ عن العرب عندما تحققوا مدى اهتمام علماء المسلمين بالناحية العملية التجريبية ، حتى إنهم فاقوا الاغريق الذين كانوا يعتبرون انفسهم اساتذة علم الكيمياء .

ولا أدلّ على ذلك من أن كيماوي المسلمين استخدموا عملية الوزن الدقيق في تجاربهم ، مما هداهم الى استنباط قانون تفاعل المواد بمقادير معينة من حيث الوزن .

كما أن مؤلفات المسلمين التي نقل الأوروبيون عنها في هذا العلم كانت تفيض بالوصف الدقيق للتجارب الكيماوية وطريقة إجرائها .

ومن أشهر علماء الكيمياء الغربيين :

بريستلي (العالم الانجليزي) سنة ۱۷۷۴ م . أول من تمكن من الحصول على

غاز الاكسجين من أملاح الزئبق التي سبق معرفتها على يد جابر بن حيان ، فقد سخن بريستلي قطعة من الرصاص فتحولت الى مسحوق أحمر ، ثم فعل ذلك في ملح الرصاص وأعاد معالجتهما ، الى أن تأكد أن الغاز الذي خرج من المادتين إنما مصدره الهواء الجوي .



بريستلي



لافوازيبه في معمله

لافوازيبه (العالم الفرنسي) سنة ١٧٩٧ م . استطاع ان يكتشف غاز أول أكسيد الكربون مستعيناً في ذلك بالتجارب التي أجراها بريستلي .

روننتجن : (العالم الالماني) سنة ١٨٩٥ م . أول من توصل الى كشف الأشعة السينية المعروفة بأشعة إكس ، التي ساعدت كثيراً في علم الطب الحديث سواء من ناحية تشخيص المرض أو علاجه . ويجب أن نذكر ما ساهمت به الكيمياء في معالجة الكثير من الامراض

نسخة مجانية

بواسطة العقاقير ، ثم دخولها في صناعة الدسج وطبعه ، والاعذية المحفوظة ،
وعمل القنابان والمواد المنفجرة وغيرها .

ثالثاً - علم الطب

الطب عند العرب :

يعتبر لقمان الحكيم أقدم أطباء العرب قبل الإسلام . ولما اشتغل المسلمون
بالعلوم الطبية في عهد الامويين كان خالد بن يزيد بن معاوية أول من عني بنقل
الطب الى العربية ، خاصة كتب أبوقرط ، وجالينوس ، وهما أشهر علماء
الطب عند اليونانيين الاقدمين . ثم زاد اهتمام المسلمين فيما بعد بنشر الثقافة
الطبية فأسسوا المعاهد العلمية لتخريج الاطباء . وكانت على نوعين : الكليات
العملية والمدارس النظرية . وكان الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان أول من
بنى البيمارستانات « المستشفيات » في الدولة الاسلامية سنة ۸۸ هـ ، وعين فيها
الاطباء المختصين ، وأجرى عليهم المرتبات الضخمة ، كما أمر بمنع المجذومين
من الاتصال بالناس وخصص لهم مستشفيات منعاً من انتشار العدوى . وقد
انكب الاطباء المسلمون على دراسة ما ترجم من كتب طب اليونان ، ونقدوا
آراءها ، وأضافوا الى ما اقتنوه منها بعد تحييصه خلاصة مشاهداتهم وأبحاثهم
وتجاربيهم ، وألفوا كتباً مستقلة في علم الطب . ونبغ اطباء المسلمين بنوع خاص
في الطب الجراحي .

ومن أشهر علماء الطب عند العرب :

ابن بختيشوع (في العصر العباسي) : وكان خلفاء بني العباس يثقون به في معالجة نساءهم واولادهم . ومن مؤلفاته في الطب : كتاب المسائل في الطب للمعلمين وكتاب علاج العين وكتاب الأسنان واللثة وكتاب أوجاع المعدة وعلاجها وكتاب المولودين لثمانية أشهر ، وأخيراً كتاب الأغذية وكتاب اللبن .

ابو بكر الرازي (المتوفى سنة ۳۲۱ هـ) : وكان أشهر اطباء عصره وهو معروف لدى الأوروبيين وكانت تشد إليه الرحال من جميع الجهات لمعالجة الأمراض . ومن أشهر كتبه : كتاب الحاوي في التداوي في ثلاثين مجلداً . وكتاب الجامع وكتاب الأعصاب . وقد استفاد منها الأوروبيون كثيراً في دراساتهم الطبية بعد ترجمتها الى اللاتينية ، وكلها تشمل أمراض الجدري والحصبة والقلب والكبد والكلى والمثانة ووسائل علاجها . ومما أثر عنه قوله : لا ومهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب . واذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً فما أقل بث العلة .

ابو القاسم خلف : وهو يعتبر أكبر جراحى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) فى اسبانيا ، وطرقه تقارب الطرق الجراحية الحديثة الى حد كبير .

ابو علي بن سينا : درس المنطق والفلسفة ، ولكنه اشتغل بالطب ، وتأمل كتب أبوقراط وجالينوس ، ثم بدأ فى معالجة الناس تأديباً لا تكسباً ، وقد طبقت شهرته الآفاق . وظل كتابه « القانون فى الطب » المرجع الوحيد فى جامعات أوروبا لمئات السنين كما ترجمت كتبه الى اللغات الأوروبية عدة مرات

نسخة مجانية

الطب عند الاوروبيين :

كان الطب في أوروبا في العصور الوسطى متأخراً ، ولم يتعدّ معالجات على طريقة بدائية مقرونة بأعمال السحر والشعوذة . كما اعتمدوا أيضاً على علوم الأقدمين ، خاصة اليونانيين بعد ترجمة مؤلفاتهم ، غير أنهم نقلوها دون بحث أو تمحيص .

فلما اتصل الأوروبيون في أواخر العصور الوسطى بالحضارة الإسلامية نقلوا الكثير عن المسلمين ففتحوا مدارس الطب في بلادهم ، واستحضروا لها أساتذة من المسلمين من جامعات الاندلس للتدريس في تلك المدن . وظلت المؤلفات العربية المرجع الوحيد في دراسة الطب عندهم حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي ، وجاوز بعضها أواسط القرن الثامن عشر . وفي تلك الآونة تقدمت الطريقة العلمية في أوروبا ، فظهرت طائفة من الأطباء الذين كشفوا عن الميكروبات ووسائل علاج الامراض والوقاية منها . وقد سبقت ألمانيا من عداها من الدول الأوروبية في مضمار الطب والتشريح .

ومن أشهر علماء الطب عند الغربيين :

لوفن هوك : (الهولندي)

باستير : (الفرنسي)

كوخ : (الألماني)



باستير

توصل الثلاثة الى كشف
الميكروب في القرنين
الثامن عشر والتاسع عشر
الميلاديين ، وتيسر للطب
تبعاً لذلك تشخيص كثير
من الأمراض ، فضلاً عن
استخدام الميكروب نفسه
في العلاج والتحصين ضد
الامراض .

ومن أمثلة الامراض
والأوبئة التي استعصت
الوقاية منها وعلاجها في
الماضي : الدفتريا

والكوليرا والتيفود والتيفوس ، وهذه وغيرها أصبح علاجها والوقاية منها أمراً
محققاً وميسوراً بفضل الاكتشافات الطبية الحديثة .

كما أدى البحث العلمي الحديث الى ظهور اكتشافات جديدة في أنواع
الادوية وطرق العلاج ، وانشئت معامل للأبحاث الطبية في مختلف دول العالم
الراقية ، وزودت بالاجهزة الحديثة والآلات الدقيقة . وما زال الطب آخذاً
في التقدم حتى وصلوا الى العلاج عن طريق الذرة .

رابعاً : اكتشاف الكهرباء

تاريخ الكهرباء وتطورها :

۱ - لاحظ العالم اليوناني طاليس بطريق الصدفة سنة ۶۰۰ ق.م. أن

نسخة مجانية

المادة الصمغية المسماة كهربان (كهرباء) اذا ما دلكت بخرقة كان لها القدرة على اجتذاب المواد الخفيفة : القش والشعر والورق وخيوط الحرير والقطن .

۲ - اكتشف العالم الانجليزي ولیم جلبرت بعد ألفي عام سنة ۱۶۰۰ م على تجربة طاليس أن هناك مواد أخرى غير الكهربان (الكهرباء) قادرة على اكتساب خاصية جذب الاجسام الخفيفة إليها متى دلكت ، وهذه المواد هي الكبريت والزجاج .

۳ - ثم توالت الاختراعات منذ القرن السابع عشر الميلادي بفضل تقدم الطريقة العلمية . ففي سنة ۱۶۷۲ اخترع عالم ألماني أول آلة كهربائية تتولد فيها قوة الكهرباء عن طريق الاحتكاك .

۴ - استنتج عالم فرنسي سنة ۱۷۳۲ ان كل الاجسام قابلة للتكهرب بالدلك إذا عزلت ، وان الكهرباء عبارة عن موجب وسالب (+ ، -) .



فولتا

۵ - اكتشف عالم انجليزي آخر طريقة نقل التيار الكهربائي من مكان إلى آخر في اسلاك معدنية .

۶ - ظلت آلات الاحتكاك البدائية الوسيلة الوحيدة لتوليد القوة الكهربائية حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . إلى أن اهتمدى العالم الإيطالي فولتا إلى اختراع أمكن بواسطته إخراج شحنة كهربائية دائمة بدل الشرارة التي تحدث

نتيجة عملية الاحتكاك القديمة ، وبذلك أمكن صنع البطاريات الكهربائية

التي شاع استعمالها حتى الوقت الحاضر ، وهي ما يسمى بالكهرباء الاستاتيكية .

٧ - ولما أجرى بنيامين فرانكلين العالم الامريكى تجاربه المشهورة أثبت



بنيامين فرانكلين

أن البرق والكهرباء شيء واحد
وبذلك أمكن اكتشاف مانعة
الصواعق .

٨ - وفي الربع الاول من القرن
التاسع عشر الميلادي اكتشف العالم
الدمركي أورشتد انه إذا لف سلك
حول قضيب من الحديد المطاوع ، ومر
به تيار كهربائي صار القضيب ممغطساً .
وقد ساعد هذا الكشف على تحسين
أحوال البرق والهاتف .

٩ ولما ظهر العالم الانجليزي ميشيل فراداي
اكتشف سنة ١٨٣١ م طريقة توليد التيار
الكهربائي بشحنات كبيرة ، وذلك باستخدام
المولد (الدينامو) وبذلك زادت الطاقة
الكهربائية إلى درجة كبيرة والتي تعرف باسم
الديناميكية .



ميشيل فراداي

١٠ - وأخيراً أمكن استغلال القوة المتدفقة من المساقط المائية كالشلالات
في توليد الفحم الابيض (الكهرباء) وذلك لإدارة الآلات الكبيرة .

نسخة مجانية

الكهرباء والحياة العامة :

اصبحت الكهرباء خادماً للإنسان في حياته العامة والخاصة لقاء قدر ضئيل من النفقات ، فسهلت له سبل الحياة السعيدة . فأصبحت تستخدم في الإضاءة وفي معظم الشؤون المنزلية وفي وسائل المواصلات بمختلف أنواعها . وكذلك في إدارة الآلات بالمصانع وغير ذلك من المنافع التي يصعب إحصاؤها . كما تكشفت عن قوة الكهرباء مخترعات عجيبة ينتفع الناس بها على اختلاف طبقاتهم . ومن هنا يتضح لنا أن الكهرباء أصبحت بحق إحدى مفاخر العلم الحديث .

الباب الرابع

« الانقلاب الصناعي »

١ - تعريفه .

٢ - خصائصه .

٣ - عوامل قيامه .

٤ - تطور الصناعة .

٥ - أدواره .

٦ - نتائجه .

نسخة مجانية

الباب الرابع

« الانقلاب الصناعي »

تعريفه :

يمكن القول بأن الانقلاب الصناعي أحد الدعائم القوية التي قامت عليها المدنية الحديثة في القرن التاسع عشر الميلادي .

والانقلاب الصناعي معناه ذلك التغير والتطور الذي طرأ على عالم الصناعة ، بفضل اختراع الآلات واستخدام القوى الطبيعية في إدارة هذه الآلات ، بدلاً من الاعتماد على الصناعات اليدوية .

ولم تكن الثورة الصناعية في أوروبا حادثاً مفاجئاً ، وإنما تطورت تطوراً بطيئاً ، لم يكتمل نموه إلا بعد مرور قرن من الزمان من بدء ظهورها في القرن الثامن عشر الميلادي .

« اصول العالم الحديث ١ ت / ٩ »

خصائصه :

يمكن تلخيص ذلك فيما يلي :

- ١ - استخدام قوة الماء ثم قوة البخار فالكهرباء في إدارة الآلات ، بعد أن كانت تدار باليد أو بقوة الحيوان .
- ٢ - انتقال المصانع من المنازل إلى المؤسسات الصناعية خارج المدن ، وتحويلها من الريف إلى الحضر .
- ٣ - تحول الصناعة من يد الأفراد إلى الشركات الصناعية الكبرى بإشراف الحكومات .
- ٤ - استغلال رؤوس الأموال في عملية التصنيع الكبرى وجلب المواد الخام اللازمة للصناعة من مواطنها الأصلية .
- ٥ - عناية الأمم بالصناعة بالبحث عن الفحم ، وهو عنصر هام في توليد القوى المحركة للآلات ، حتى تضاعفت الكميات المستخرجة منه إلى درجة كبيرة .
- ٦ - استخدام الصلب في صناعة الآلات التي أكسبها ذلك قوة وصلابة ، وجعلها تقاوم العمل المستمر بأقل النفقات وأوفر التكاليف .
- ٧ - إنشاء المصانع الكبرى برؤوس أموال ضخمة ، وقد تجمعت معظم هذه المصانع حول مواطن الفحم والحديد ، توفيراً لنفقات النقل .
- ٨ - تسهيل سبل المواصلات بين مناطق الصناعة وموانئ التصدير ، وكذلك بين مواطن المواد الأولية للصناعة ومراكز الصناعات الهامة في كل دولة .

۹ - عدم الاقتصار على صناعة معينة بل تعددت الصناعات ، فمنها ما يتصل بحياة الانسان الضرورية في السلم والحرب ، ومنها ما يتعداها الى الكماليات .

۱۰ - وأخيراً فقد تميز الانقلاب الصناعي بالسرعة في الانتاج مع وفرة النفقات ، وبذلك ازداد الاستهلاك واعتدلت الأسعار في الأسواق شيئاً فشيئاً .

عوامل قيام الانقلاب الصناعي

ساعد على ظهور حركة الانقلاب الصناعي العوامل الآتية :

۱ - كان في طبيعة هذه العوامل ، ما قامت به النهضة الاوروبية في سبيل تقدم الفكر الانساني ، وبحث الانسان عن حياة حرة كريمة ، يظهر فيها إنتاجه ونشاطه لخير وخير البشرية .

۲ - انهيار النظم لاقطاعية في اوروبا ، وتحرير الفرد من القيود التي كانت تغل من تفكيره وتثبط من عزائمهم ، فقد كان عبداً مسيراً بيد سيده الشريف ، كما أن إنتاجه ومجهوده إنما كان يعود على غيره .

۳ - تغيرت أفكار الناس من حيث الاقتصار على مورد واحد للحياة واتجهت عقولهم للتفكير في موارد اخرى ، وعلى رأسها الصناعة ، مما جعل فئة كبيرة من المزارعين يهجرون حقولهم وينتقلون للعمل في المصانع .

۴ - ساعدت حركة الاستعمار الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع

نسخة مجانية

عشر للميلاد على استغلال مناطق غنية بالمواد الخام اللازمة للصناعة ، خاصة في قارتي آسيا وإفريقيا ، بالإضافة الى ظهور كميات كبيرة من الفحم الحجري والحديد الخام في قارة أوروبا . كما استطاعت الدول الاستعمارية السيطرة على أسواق خارجية في البلاد المستعمرة لتصريف منتجاتها على نطاق واسع .

۵ - اتجه أصحاب رؤوس الأموال إلى استغلال أموالهم في تمويل المشروعات الصناعية فتأسس كثير من البنوك الصناعية والبيوتات المالية التي أسهمت في تقدم حركة الصناعة بشكل واضح .

۶ - شجع كثير من ملوك وأمراء وعلية القوم في أوروبا المخترعين والمكتشفين والعلماء ، مما كان له أثره العظيم في ظهور طائفة كبيرة من المشتغلين بالمخترعات الحديثة ، وبفضلهم اكتشف البخار وصنعت الآلات الحديثة .

۷ - كانت النهضة العربية الاسلامية في العصور الوسطى وما بعدها ، التي حفلت بالكثير من المكتشفات والمخترعات والمبتكرات التي قام بها علماء العرب المشهورون ، الأساس الذي قامت عليه حركة الانقلاب الصناعي في أوروبا .

تطور الصناعة

كانت بريطانيا أقدم دول أوروبا في ميدان الصناعة ، وخاصة صناعة الصوف . فكان النساء يقمن بغزله في المنازل ، ويقوم الرجال بنسجه . ويلاحظ أن المرأة كانت تدير مغزلاً واحداً ، بينما الرجل كان ينسج على منوال واحد .

يشتغل فيه بيديه ورجليه ، ولا يزيد عرض الثوب الذي يصنعه على ذراعين .

ثم بدأت حركة تطور الصناعة ممثلة في الصناعات الآتية :

(۱) صناعة الغزل والنسيج :

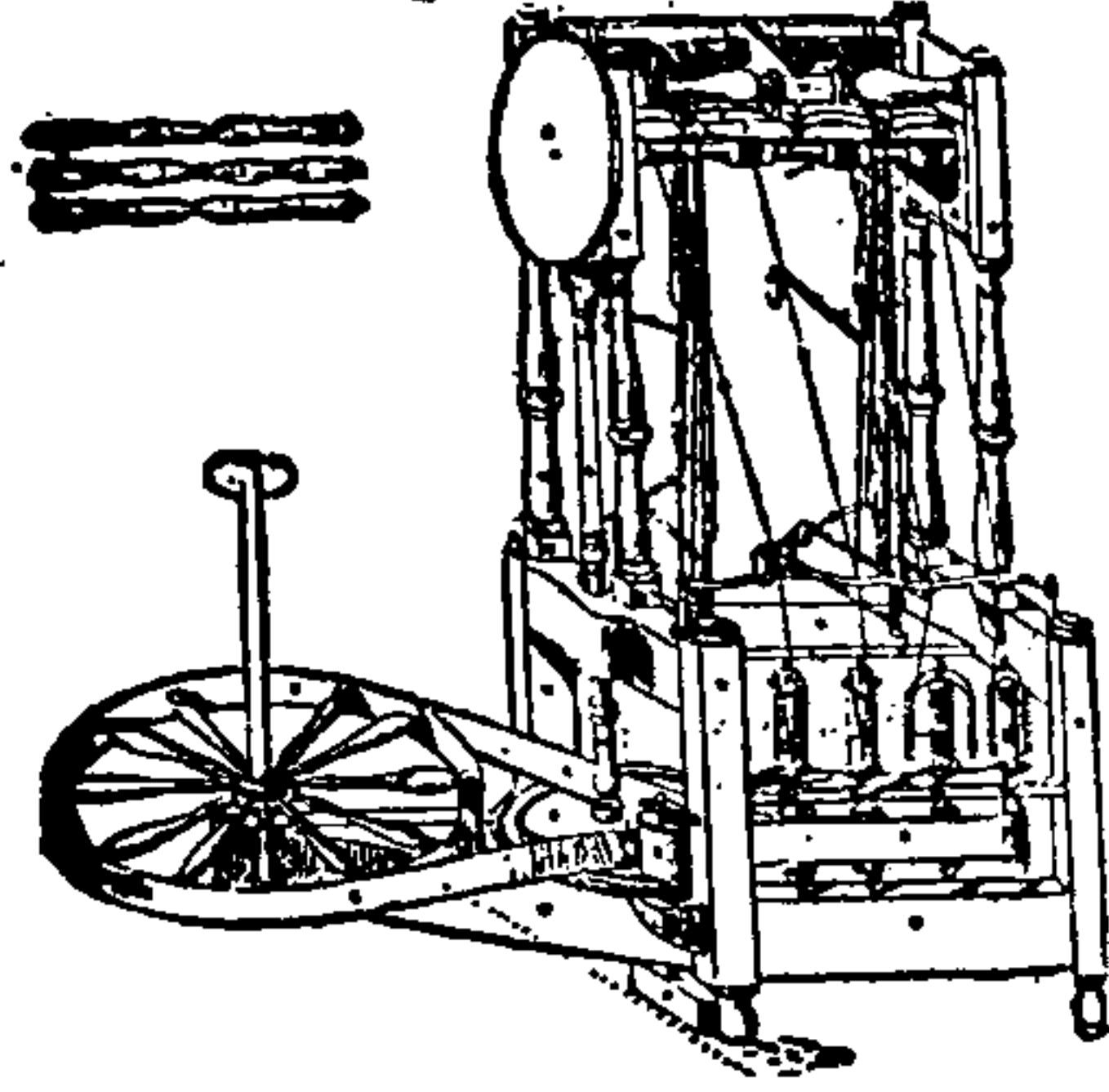
۱ - تمكن « جون كاي » John Kay الانجليزي سنة ۱۷۳۳م من اختراع جهاز سماه « المكوك الطيار » The Flying Shuttle وبه أمكن النسيج من تحريك المكوك بإحدى يديه بينما تفرغت يده الأخرى لتمشيط الثوب . وبذلك صار النسيج ينتج ثلاثة أمثال ما كان ينتجه في الماضي ، كما زاد عرض الثوب الى مترين .

۲ - استطاع « جيمس هرجريفز » James Hargreaves سنة ۱۷۶۷م اختراع جهاز « آلة الغزل Spining Engine » ، وبواسطتها استطاع الغزال الواحد أن يدير ثمانية مغازل بيده اليمنى فقط بعد أن كان العامل لا يحرك إلا مغزلاً واحداً فيما مضى بكلتا يديه ، ثم زاد الحال بعد ذلك الى مائة وعشرين مغزلاً .

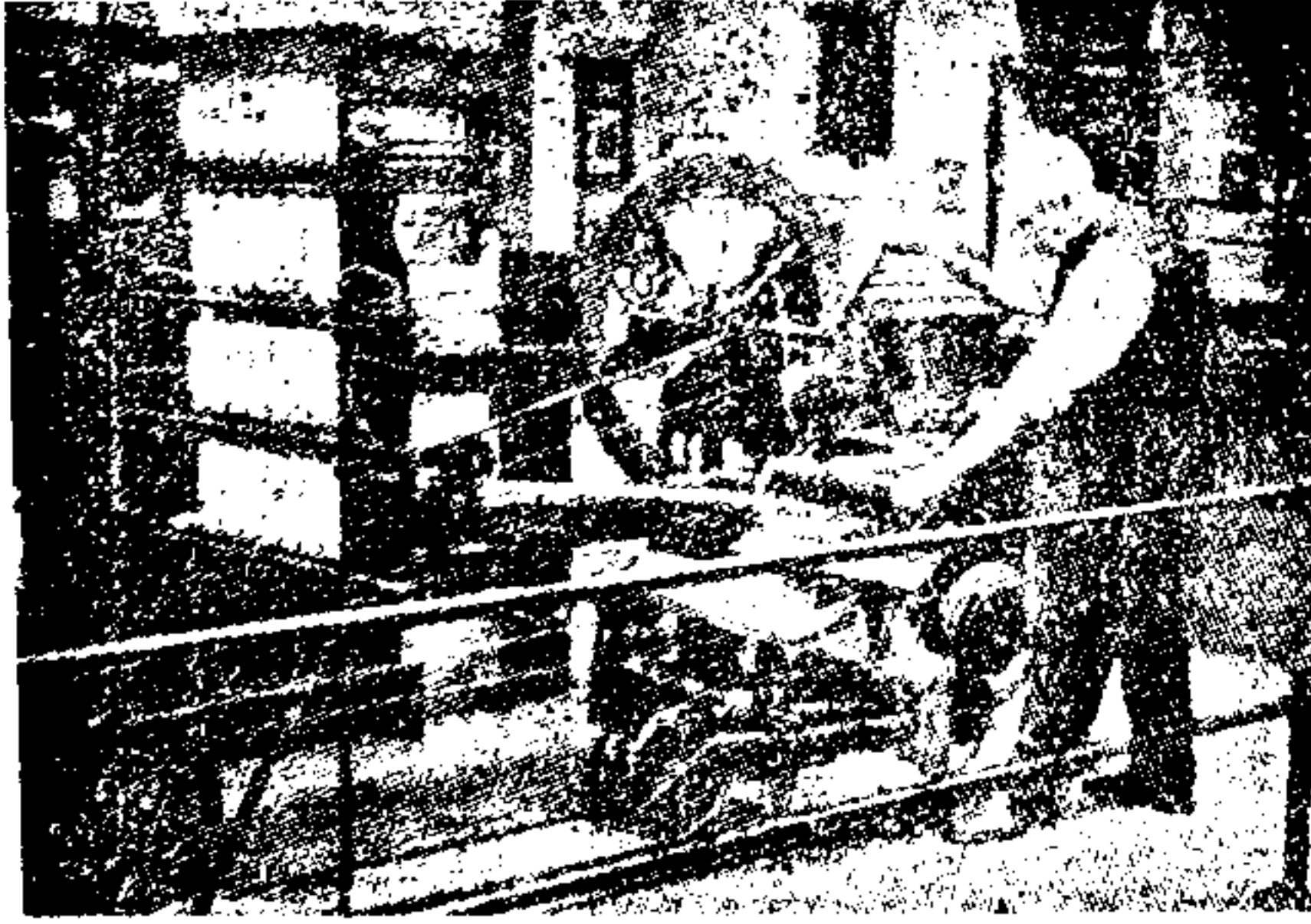
۳ - اهتمدى « ريتشارد أركرايت » Richard Arkwright سنة ۱۷۶۹م إلى اختراع جهاز يدار بقوة الخيل ، ثم بقوة الماء ، ولذا سمي « الإطار المائي » . وأمكن بواسطة هذه الآلة تحسين صناعة نسج القطن ، فبدلاً من أن كانت الغزاليون يخلطون نسيج القطن بخيوط من الصوف أو الكتان ليزيد من متانة القماش أصبح هؤلاء الغزاليون ، بفضل هذا الجهاز ، يقومون بصناعة ثياب كلها من القطن .

نسخة مجانية

التطور الصناعي في العصر الحديث



جهاز أركريت



جهاز كرمبتن

٤ - أدخل « صمويل كرمبتن » Samuel Crompton سنة ١٧٧٩ م تحسينات على جهازي « جيمس وار كريت » بحيث جمع بين سرعة العمل ودقة الصناعة . فزادت بذلك صناعة الغزل متانة وجودة . وتمكنت بريطانيا بذلك من صناعة « الموسلين » الذي فاق ما كانت تستورده بريطانيا من الهند .

٥ - ابتكر « كارتريت » Cartwright سنة ١٧٩١ م جهازاً ضاعف بواسطته انتاج النساجين ، وكان يدار بقوة الماء ، ثم لما اكتشف البخار أصبح يدار بقوة البخار ، وبذلك أصبحت مصانع لانكشير من أعظم المراكز لصناعة المنسوجات القطنية ، ويركشير من أشهر مراكز صناعة المنسوجات الصوفية .



الصبغة

٦ - اخترع « بل » Bell آلة لطبع الرسوم على الأقمشة في أشكال مختلفة ، تتناسب ومختلف الأذواق عند سائر طبقات المجتمع . فكان ذلك سبباً في إقبال الناس على شراء هذا النوع من الأقمشة .

نسخة مجانية

اكتشاف البخار وتطور استخدامه

۱ - ظهرت فكرة استخدام البخار كقوة محركة عند سكان مدينة الاسكندرية في القرن الثاني قبل ميلاد المسيح ، ولكن لم يتعد استعمالهم لقوة البخار بعض آلات صغيرة تشبه لعبة الأطفال في وقتنا الحاضر .

۲ - تم اختفت الفكرة على مر الزمن ، الى أن استطاع مهندس في الجيش البريطاني يسمى « سافري » Savery من اختراع آلة تدار بقوة البخار ، واستعملها في عملية صرف المياه من بعض مناجم الفحم في بريطانيا .

۳ - تمكن مخترع آخر يسمى « نيوكومن » Newcomen من إدخال تحسينات على هذه الآلة السابقة الذكر ، ولكنها ظلت تستهلك قدراً كبيراً من الفحم وتفقد كمية كبيرة من البخار .

۴ - فلما ظهر « جيمس وات » James Watt العالم البريطاني سنة ۱۷۶۰ م استطاع اصلاح العيب السابق عن طريق اختراع مكثف منفصل للآلة البخارية المذكورة . فقلل بذلك استهلاك الفحم ، وزادت سرعة الآلة واستخدمت في مصانع نسج القطن لأول مرة .

۵ - نجح « سيمينجتون » Symington المهندس الاسكتلندي في تسيير أول زورق بخاري ، وتلاه « فلتن » Fulton الأمريكي الذي اخترع قارباً بخارياً سيره في مياه المحيط الاطلسي قرب مدينة نيويورك الامريكية سنة ۱۸۰۷ .

۶ - وما أن جاءت سنة ۱۸۲۳ حتى كان في بريطانيا أكثر من مائة قارب

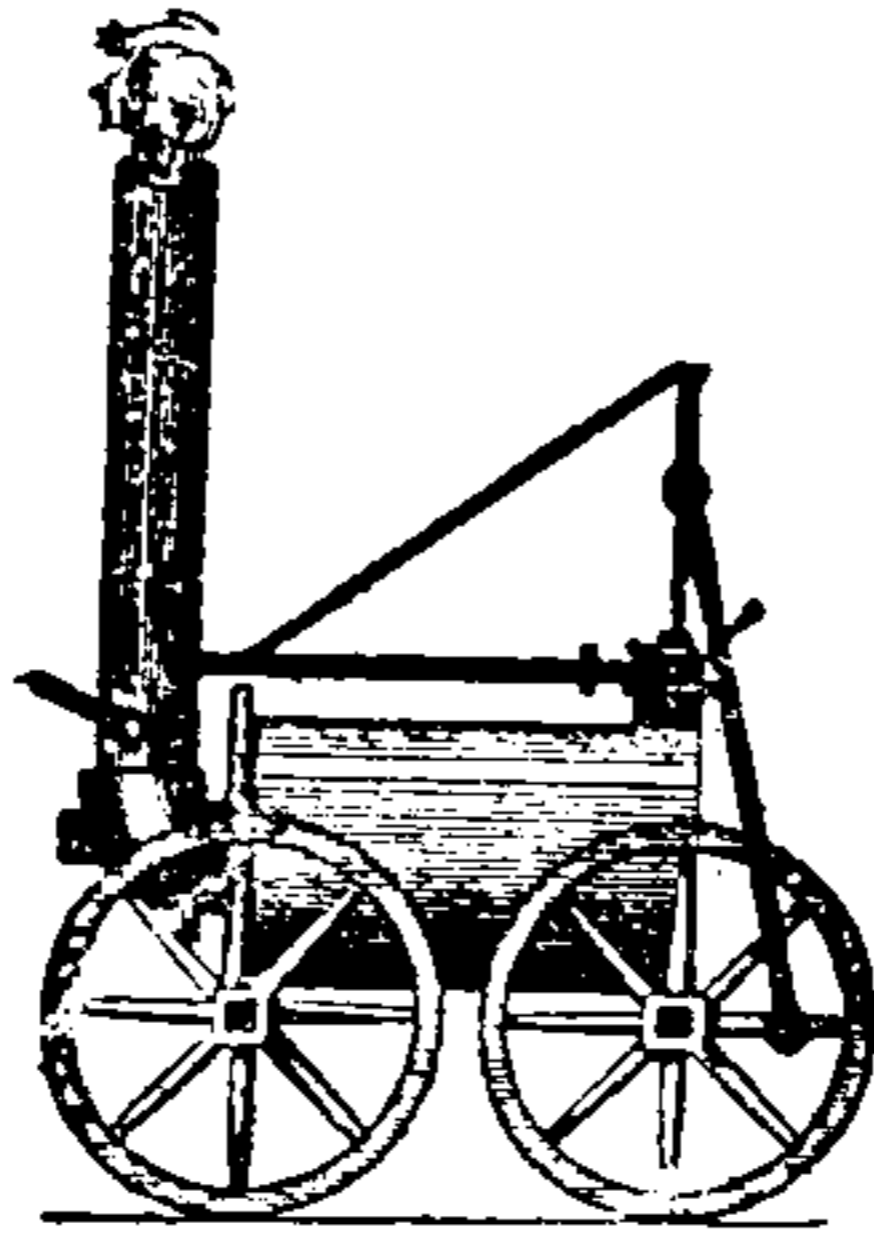
بخاري وسفينة صغيرة مصنوعة من الخشب وصالحة للملاحة في الانهار الصغيرة . ثم تطور الحال الى صناعة البواخر الكبيرة المصنوعة من الحديد ، والتي سارت في عرض المحيطات رقامت برحلات بحرية من بريطانيا الى الهند .



۷- وكان « جورج ستيفنسن » أول من اخترع قاطرة بخارية سارت على أول خط حديدي في

جورج ستيفنسن

العالم ، ما بين مدينتي لفربول ومانشستر الانجليزييتين سنة ۱۸۲۵ . ثم ما لبثت



أول قاطرة تسير على قضبان

الفكرة أن انتقلت الى سائر دول أوروبا التي استخدمت القاطرات البخارية
نسخة مجانية

والسكك الحديدية على نطاق واسع . فنشطت التجارة نتيجة لذلك نشاطاً لم يكن معهوداً من قبل .

مراحل صناعة التعدين

۱ - كانت صناعة الحديد متأخرة في جميع أنحاء أوروبا بصفة عامة ، ثم ما لبثت إنجلترا أن نشطت في تحسين صناعة الحديد حتى استطاعت أن تفي بحاجتها بعد أن كانت تستورد من بلاد السويد .

۲ - وكان أو عهد الناس في استخدام الفحم استعمالهم النوع المعروف « بالفحم النباتي » المتخذ من الخشب بعد حرقه . ثم اتجه التفكير الى توفير الخشب لاستخدامه في أغراض أخرى ، واهتمدى بعض العلماء الى اكتشاف الفحم الحجري وتحويله الى « فحم كوك » وهو ما يستخدم حتى الآن كإداة أساسية للوقود .

۳ - ابتكرت طرق جديدة لاستخراج الفحم اللازم في صناعة صهر الحديد الخام ، وبذلك حلّ الحديد محل الخشب في أكثر الصناعات .

۴ - اخترع « بسمر » الانجليزي طريقة لتحويل الحديد الى صلب بنفقات قليلة ، فازدادت كمية الصلب وانخفض ثمنه وشاع استعماله .

۵ - أصبح للقرن التاسع عشر يسمي « بعصر البخار والحديد » ،

لأن هذه العناصر الثلاثة كانت الأساس الذي قامت عليه النهضة الصناعية الحديثة .

تطور وسائل النقل :

- ۱ - كانت الدواب هي وسيلة الانتقال في العصور القديمة والوسطى في أغلب الأحيان ، كما كانت تستخدم في جر العربات والمركبات .
- ۲ - ولما تقدمت فنون الصناعة والهندسة في القرن الثامن عشر الميلادي اتجه الناس الى الاهتمام بتحسين وسائل النقل ، فبدأوا بتعبيد الطرق ورصفها ، وكان أول من فكر في ذلك المهندس الاسكتلندي « مكدام » .
- ۳ - ثم استخدمت قضبان السكك الحديدية لجر عربات النقل بواسطة الخيول .
- ۴ - وعندما اكتشف البخار استخدمت أول قاطرة بخارية تسير على قضبان حديدية سنة ۱۸۳۰ على يد « جيمس وات » ، ثم شاع استعمالها في معظم بلاد أوروبا والبلاد الأخرى .
- ۵ - وبفضل تقدم العلوم الهندسية انشئت الكباري العظيمة فوق الأنهار ، وشقت الانفاق بين الجبال وفي جوف الأرض .
- ۶ - استخدمت قوة البخار في النقل البحري في الأنهار والمحيطات ، ففتحت القنوات الملاحية ، مثل قناة السويس وقناة بنما وقناة كيبل ، وبذلك اختصرت الطرق البحرية العالمية .

نسخة مجانية

٧ - كانت نفقات تكاليف الوقود باهظة في أول الأمر ، ولكن التحسين الذي أدخل على الآلات أدى تدريجاً الى الاقتصاد في نفقاته .

أدوار الانقلاب الصناعي

يمكن تقسيمها الى مراحل ثلاث :

(أ) الفترة الأولى : (من سنة ١٧٧٠ - ١٨٣٠ م) وتتميز بما يأتي :

١ - تطور صناعة الغزل والنسيج ، فمن الاطار اليدوي إلى الاطار المائي الى الاطار المزدوج .

٢ - تدرجت القوة المحركة للآلات من يد الانسان الى قوة الحيوان الى قوة مساقط المياه .

٣ - اكتشف البخار في هذه الفترة واستخدم في مصانع النسيج والغزل وإدارة الآلات ، وفي وسائل النقل المختلفة (كالقاطرات والبواخر الصغيرة) .

٤ - تحول الحديد الى صلب (على يد بسمر) ، واستخرج الفحم الحجري بكميات كبيرة ، وأمكن تحويله الى فحم كوك بعد تخليصه من الغاز الكبريتي .

(ب) الفترة الثانية : (من سنة ١٨٣٠ - ١٨٧٠ م) :

١ - انتقلت الصناعة من دور التجربة والاختبار الى دور الانتاج والاستقرار .

- ٢- قامت الصناعة على مبادئ وأسس علمية سليمة .
- ٣- تطورت النواحي الهندسية والعلوم الطبيعية والمواد التطبيقية .
- ٤- ظهرت صناعات جديدة : كالأغذية المحفوظة والتصوير الشمسي وآلات الطباعة وغيرها .
- ٥- بدأ الكشف عن قوة الكهرباء ومحاولة استخدامها في الحياة العامة .

(ج) الفترة الثالثة : من سنة ١٨٧٠م حتى الوقت الحاضر .

- ١- أخذت الأبحاث الكهربائية في التقدم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .
- ٢- اخترع البرق والهاتف ، واستخدمت قوة الكهرباء في تحريك الآلات في المصانع وفي الشؤون المنزلية ووسائل الاتصال السلكي واللاسلكي .
- ٣- اكتشفت قوة محرك جديدة تعتمد على قوة الاحتراق الداخلي بدلاً من الاعتماد على قوة البخار ، واستخدمت هذه الطاقة الجديدة في السيارات والطائرات وغيرها .
- ٤- ساعد التقدم العلمي الحديث على قيام صناعة الآلات والأدوات المهلكة والمدمرة في الحروب ، كما اخترعت الغازات الخانقة ، والمسيلة للدموع ، وكذلك صناعة الأسلحة الثقيلة والخفيفة .
- ٥- تطورت وسائل النقل البري والبحري والجوي تطوراً كبيراً ، وزاد الإقبال عليها حتى ارتبطت أجزاء العالم بعضها ببعض .

نسخة مجانية

٦ - حل البترول تدريجياً محل الفحم في إدارة الآلات ، كما استخرجت منه عدة مواد أمكن الاستفادة منها في كافة ما تتطلبه حياة الإنسان في السلم والحرب على السواء .

٧ - وفي السنوات الأخيرة ظهرت قوة محرّكة تفوق في أهميتها كل ما سبقها هي « القوة الذرية » ، التي تجاوزت على ما يبدو دور التجربة والاختبار ، وأصبحت في متناول الصناعة للشئون المدنية والحربية . ويظهر ذلك جلياً في تسابق الدول على استخدام الطاقة الذرية في غزو الفضاء بما في ذلك من صواريخ وأقمار صناعية .

النتائج العامة للانقلاب الصناعي

تقدمت المدنية في قرن واحد من الزمان تقدماً عظيماً ، وتبع هذا التقدم تغيرات وتطورات جوهرية في الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية نتيجة للثورة الصناعية التي ظهرت في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

أولاً : النتائج الاقتصادية :

١ - امتازت النهضة الصناعية باستخدام الآلات تدريجياً ، واستدعى الأمر إنشاء مصانع ضخمة حلت محل المصانع الصغرى ، كما تركزت المصانع الجديدة في المناطق الجبلية أو في مناطق الفحم القريبة من موانئ التصدير .

٢ - كان من نتيجة انتقال المصانع من مناطق الريف الزراعي إلى أماكن الحضر في المدن حدوث أزمة زراعية كبرى . فبينما كان عدد المشتغلين بالزراعة في بريطانيا سنة ١٧٧٠م نصف عدد سكانها إذا به بعد ستين عاماً يقل إلى الثلث ، وبعد مرور أربعين عاماً أخرى انخفض العدد إلى السدس . واقترون هذا النقص في عدد المزارعين بازدياد الطلب على المواد الغذائية ، فارتفعت أسعارها مما اضطر أقطار أوروبا إلى شراء حاصلات الشرق الزراعية .

٣ - اتسع نطاق التجارة اتساعاً يتناسب وتقدم الصناعة في هذه الفترة ، فأنشئت المتاجر الكبرى ونظمت العلاقات التجارية بين الدول عن طريق تعيين مندوبين أو قناصل تجاريين ، كانت مهمتهم توطيد العلاقات التجارية بين الدول . وأصبحت التجارة والصناعة من أكبر موارد الثروة الاقتصادية بعد أن كانت الزراعة هي المورد الرئيسي .

٤ - تكونت الشركات الاقتصادية الكبرى للقيام بالمشروعات الصناعية الضخمة ، كما كثرت البيوتات المالية والمصارف الصناعية لمدا أصحاب المصانع بالأموال اللازمة لها .

٥ - اشتدت العناية بوسائل النشر والاعلان ، كما بذلت الجهود الكثيرة لإقامة المعارض حتى يسهل عرض المصنوعات لمعرفة العرض والطلب على المنتجات الصناعية .

تانياً : النتائج الاجتماعية :

ازداد تزاخم السكان في مناطق الصناعة حيث توجد المناجم والمصانع والموانئ البحرية . ونتج عن تكاثف السكان على هذه الصورة نتائج اجتماعية

نسخة مجانية

وخلقية بالغة الخطورة . فقد اضطرت أسر العمال الى التجمع في مساكن ضيقة غير صحية ، فمثلاً كان العمال في مدينة « منشستر » يقيمون في حجرات ضيقة رطبة مظلمة سيئة الاضاءة ، كما كانت الاسرة المؤلفة من ثمانية أشخاص تعيش في مدينة لندن في غرفة واحدة .

۲ - ساءت أحوال العمال أيضاً بسبب قلة أجورهم وكثرة نفقاتهم نظراً لارتفاع مستوى المعيشة في البيئة الصناعية ، كما تفتت البطالة بين صفوف العمال بعد استغناء أصحاب المصانع عن عدد كبير منهم نتيجة لاستخدام الآلات الحديثة ، التي ليست في حاجة كبيرة الى أعداد ضخمة من العمال .

۳ - كان أصحاب الأعمال يفضلون تشغيل الأطفال والنساء في المصانع بسبب انخفاض أجورهم بالنسبة الى أجور الرجال . فزادت البطالة بين أرباب البيوت من العمال . هذا الى أن الأطفال الصغار كانوا يعملون مدة ۱۲ ساعة أو ما يزيد في كثير من الحالات . وكانت البنات الصغيرات يستخدمن في جرّ عربات صغيرة مملوءة بالفحم بينما الأطفال الذكور يشتغلون داخل المنجم في جو خانق لمدة ساعات طويلة وباجور زهيدة .

۴ - غير أنه رغم الضيق الاقتصادي الذي أثر على حياة العمال الاجتماعية والصحية ، فإن الحالة لم تلبث أن تحسنت نتيجة لازدياد الثروة بعد ان نشطت المصانع في الانتاج وزادت الطاقة الشرائية . فانتعشت الأحوال الاقتصادية وانخفضت الاسعار ، كما خفت حالة البطالة لحاجة المصانع الى العمال بعد أن اتسع نطاق عملها ، وزاد الاقبال على شراء منتجاتها .

۵ - ظهرت طبقة من المفكرين الاجتماعيين ، الذين نادوا بإصلاح أحوال العمال المادية ، ورفع مستوى حياتهم الاجتماعية ، وتقليل ساعات عملهم ، ثم

عمل تشريعات تحدد العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال . ومن هؤلاء الذين كانوا دعاة لهذه الحركة الإصلاحية : سان سيمون ، ولويس بلان ، وكارل ماركس .

ثالثاً : النتائج السياسية :

١ - اتجهت الدول الأوروبية الى البحث عن مواطن المواد الخام اللازمة للصناعة ، فعملت على بسط نفوذها على بعض المستعمرات الغنية بتلك المواد ، خاصة في قارتي آسيا وأفريقيا ، كما فكرت هذه الدول في فتح أسواق جديدة لتصريف منتجات بلادها الصناعية . فأدى ذلك كله الى حدوث التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

٢ - اتسعت واجبات الحكومات في البيئات الصناعية الجديدة ، فصار لزاماً عليها أن توجّه عنايتها الى الشؤون الصحية والاجتماعية والتعليمية ، عن طريق إنشاء المساكن الحديثة والعناية بتربية الأطفال في مدارس منظمة ، ثم رعاية العجزة والمسنين وأصحاب العاهات بوضعهم في ملاجئ ، بالإضافة الى صرف إعانات مالية للفقراء والمعوزين غير القادرين على العمل .

٣ - ارتقت الصحافة وساهمت في تحسين أحوال العمال وسائر الطبقات الفقيرة الكادحة ، حتى غدت من أكبر وسائل الاعلان والتوجيه والتهديب والارشاد . وكثيراً ما خضعت لها الحكومات واستجابت للكثير من آرائها ومطالبها الداعية الى اصلاح .

٤ - ظهرت الحركة النسائية في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،

(اصول العالم الحديث ١ / ت / ١٠)

وهي التي استهدفت منع المرأة حقوقها السياسية ومساواتها بالرجل في معظم الحقوق المدنية ، وقد انتهت هذه الحركة بالنجاح في بعض الدول ، بينما فشلت في بلاد أخرى .

صدي الانقلاب الصناعي في البلاد العربية

خيم الركود والجمود فترة طويلة من الزمن على بلدان العالم العربي في الفترة التي خضعت فيها هذه البلاد للسيادة التركية ، ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين .

وكانت تركيا قد ضربت حصاراً على البلاد العربية حتى لا تتصل بالدول الأوروبية الحديثة العهد بالاستقلال ، والتي نالت حريتها على إثر حوادث الثورة الفرنسية وما تلاها من حركات قومية .

غير أن الدولة العثمانية اتجهت الى حركة الاصلاح في نهاية القرن الثامن عشر وطيلة القرن الذي تلاه ، وكانت في ذلك مكرهة بضغط من الدول الأوروبية ، واستجابة لبعض دعاة الاصلاح الأتراك منهم والعرب .

خلال هذه الفترة كانت النهضة الصناعية في أوروبا تسير بخطى واسعة حتى وصلت الى الصورة التي سبق شرحها . وهنا تعالت أصوات الداعين للاصلاح في الشرق العربي ، أمثال جمال الدين الأفغاني ، الذي بصّر المسلمين بما وصلوا إليه من ضعف وانهلال نتيجة تخاذلهم عن السير في ركب الحضارة الحديثة ، كما أن

محمد علي الذي شاء أن يكون لنفسه دولة قوية أدرك من خلال الحملة الفرنسية على مصر والشام ما وصل اليه الغرب من نهضة وتقدم . فكان أن اتجه الى الأخذ والاقتباس من حضارة الغرب فأرسل البعث الى أوروبا ، واستعان بكثير من الخبراء الأوروبيين وشجعهم على الحضور إلى مصر . وصحب ذلك اقتباس العلوم والاختراعات الحديثة الأوروبية فأنشأ المصانع المختلفة لصناعة الأسلحة والمعدات والمنسوجات والأحذية وكذلك استجلب مطبعة من الخارج .

وسار الشرق العربي على هذا المنوال ، فمُد أول خط حديدي في مصر يربط بين القاهرة والاسكندرية سنة ١٨٥٦ ، كما أنشئت سكة حديد الحجاز (بين دمشق والمدينة المنورة) سنة ١٩٠٨ ، ومنح السلطان عبد الحميد البنك الألماني امتياز خط حديد بغداد (من قونية فحلب الى الموصل وبغداد فالبصرة) ، برغم أن إنجلترا وفرنسا عارضتا تنفيذ هذا الخط في بادئ الأمر ، وهكذا لم يتم منه إلا جزء بسيط قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، ثم استكمل فيما بعد .

وقد فتح السلطان عبد الحميد أبواب الدولة العثمانية لرجال الصناعة والتعدين من الألمان ليقوموا بمشروعات في أرجاء دولته . لكن عندما حل الاستعمار الأجنبي محل الحكم التركي في البلاد العربية توقفت مشروعات الإصلاح ، ولم تتقدم إلا على نطاق محدود ، وحسب خطة موضوعة لصالح الاستعمار ، لكي تظل البلاد العربية مرتبطة بهجلة الاستعمار في جميع اقتصادياتها .

بيد أنه عندما ظهرت حركة اليقظة القومية في القرن العشرين وتحررت معظم البلاد العربية ، اتجهت الحكومات الى السير قدماً في سياستها الانشائية والعمرائية ، فتعددت المصانع ، وعبدت الطرق ودخلت الآلات الحديثة في الحقل والمصنع ، وتسللت وسائل المدنية الى البيوت بشكل واضح وعلى نطاق

واسع ، وغدت الأسواق العربية مزدحمة بالمنتجات الصناعية الحديثة التي تلزم حياة الانسان وتوفر له كافة مطالبه .

ومن هنا يتضح مدى الانقلاب الصناعي في البلاد العربية بحيث أصبح العالم العربي في الوقت الحاضر يتأثر بكل ما ينتجه الفكر الانساني الحديث من اختراعات وابتكارات . فقد زالت الحدود والحواجز القديمة وصار العالم وكأنه وحدة متشابكة وجسم مشترك يتأثر بكل ما يحدث في أي جزء من أجزائه .

الباب الخامس

نمو الحركة القومية في أوروبا

- ۱ - أثر الثورة الفرنسية في إذكاء الروح القومية بين الشعوب الأوروبية .
- ۲ - أمثلة على جهاد بعض الشعوب الأوروبية في سبيل تطبيق وحدة لدولة .
- ۳ - إشارة موجزة لقيام الوحدة الإيطالية والاتحاد الألماني .

نسخة مجانية

آثار الثورة الفرنسية ونتائجها في أوروبا

ترتبت على الثورة الفرنسية عدة آثار ونتائج خطيرة ، أهمها ظهور الروح القومية في أوروبا . ذلك أن الاتجاه الى التخلص من الاستبداد والحكم المطلق الذي ساد أوروبا كلها أصبح واضحاً ، مما أدى الى قيام كثير من الحركات لتحقيقه ، مثل الوحدة الإيطالية والاتحاد الألماني كما سنرى . كذلك ظهرت الروح الدستورية في الأمم الأوروبية ، فقد تميزت الثورة الفرنسية في مراحلها بدستورين هامين ، دستور عام ١٧٩١ ودستور عام ١٧٩٥ . وقد اشتمل كلاهما على الكثير من مبادئ الحرية والديموقراطية ، مما أدى الى انتشار هذه الروح الدستورية في سائر دول أوروبا ، ونهضت كل دولة تحاول أن تضع لنفسها دستوراً أسوة بالدستور الفرنسي ثم إن سيادة الروح الدستورية والروح القومية ترتب عليها القضاء تماماً على نظرية التفويض الالهي ، أي حق الملوك المقدس . فقد أصبح مثل هذا الكلام لا يمكن الأخذ به ، ولا يزيد على أن يكون حديث خرافة ، أما المبدأ الحق فهو حق الشعب في حكم نفسه ومسؤولية الحاكم أمام الشعب .

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الثورة الفرنسية قد جاءت بعدة مبادئ وعنتها في الحال شعوب أوروبا ، وأصبحت تتغنى بها ، وتعزم على تنفيذها وهي : الحرية شيء طبيعي للانسان - الأمة مصدر السلطات - السلطات الثلاث يجب أن تظل منفصلة . ثم إن مجيء الثورة كان نهاية لنظام الاقطاع ولفؤذ الأشراف ، إذ أنقبت كافة الامتيازات التي كانت ممنوحة لهم ، وأصبحت الكلمة

العليا للشعب وفي الوقت ذاته بدأ الشعب ينعم بالحرية الدينية ، إذ تمّ القضاء على طبقة كبار رجال الدين ، وتمّ إقرار مبدأ الحرية الدينية وحرية العبادة .

حالة أوروبا بعد الثورة الفرنسية :

انتقل الحكم إلى نابليون بعد الانقلاب الذي استطاع ان يتخلص به من حكومة الإدارة ، وقد استطاع أن يحرز عدة انتصارات رفعت من شأنه وجعلت الشعب الفرنسي يمنحه ثقته ، فتوجّه امبراطوراً على فرنسا . وبذلك بدأت فرنسا عهداً جديداً يعرف بعهد الامبراطورية ، قام خلاله نابليون بعدة اصلاحات داخلية ، أعادت الثقة والهدوء الى البلاد ، وتحسنت أحوالها الداخلية تحسناً كبيراً .

أما الدول الأوروبية فقد عزت عليها أن ترى فرنسا وقد عادت الى قوتها ، لذلك تحالفت ضدها . ولكن نابليون قرر مهاجمة دول أوروبا عامة وانجلترا خاصة ، فقد كانت دائماً تحرض الدول ضده . لذلك حارب النمسا وبروسيا ، وفشل في محاولة غزو إنجلترا بعد أن فقد أسطوله في موقعة الطرف الأغر ، لذلك رأى نابليون أن يحارب إنجلترا اقتصادياً بعد أن فشل في محاربتها عسكرياً . فأصدر مراسيم برلين حيث أعلن أن أوروبا في حالة حصار ، وحرّم عليها الاتصال بإنجلترا والاتجار معها . ثم واصل فتوحاته حتى استطاع أن يسيطر على كافة أرجاء أوروبا الى حدود روسيا ، وذلك في معاهدة تلسنت التي تحدد أقصى ما وصل إليه نابليون .

ولكن هذا الحصار القارتي لم يكن في مصلحة كثير من دول أوروبا ، فقد سبب لها أضراراً اقتصادية كثيرة ، فأقفرت أسواقها ، وأصبحت على شفا الإفلاس . لذلك أعلنت البرتغال عصيانها لقرار نابليون السابق ، ومن هنا كان اعتداؤه على شبه جزيرة أيبيريا . وكانت حروبه في هذا الجزء من أوروبا بداية

نسخة مجانية

انهيار البطل العالمي ، ذلك أن حروبه في النمسا وألمانيا وإيطاليا كانت سهلة هينة ، إذ كان يحارب بلاداً ممزقة الأوصال لا وحدة لها ولا ارتباط بين أجزائها ، ولكنه في أسبانيا أصبح أمام عصبيات مما أدى إلى انهزامه . فكان هذا منشأ الروح القومية التي سرت من اسبانيا الى سائر دول أوروبا . ثم ولى نابليون وجهه شطر روسيا عازماً على غزوها في عقر دارها شأن سائر دول أوروبا الأخرى ، ولكنه مني بهزائم ذكراء . فاستغلت الدول الأوروبية ضعفه الظاهر وهزائمه المتتالية فتضافرت عليه وهزمته في موقعة (واترلو) ، حيث انتهى عهد الامبراطورية في فرنسا .

ولعل أظهر الأسباب التي أدت إلى سقوط نابليون هو إثارة لعواطف الشعوب ، فأعماله العدائية حركت في الشعوب الأوروبية الناحية القومية والوطنية ، فقامت تؤيد حكوماتها بعد أن كانت في معزل عنها . وهكذا فسريان الروح القومية في أنحاء القارة الأوروبية كان العامل الأول الذي أدى إلى نهاية نابليون . أما العوامل الأخرى فليست إلا عوامل فرعية تصدر عن هذا العامل ، وذلك أن ازدياد مطامعه الشخصية أفضى به إلى الاعتداء على معظم الأمم الأوروبية ، مثل أسبانيا وهولندا والنمسا وبروسيا والروسيا وإيطاليا . ولم يكن يراعي الشعور القومي في حكم هذه البلاد ، بل كان يحكمها حكماً استبدادياً مركزاً في يد فرنسا وحدها ، فقد أسند أمورها إلى ملوك من أقاربه مما أدى إلى إثارة الشعوب الأوروبية ضده ، وإذكاء الروح القومية إذكاء مستمراً .

كما أن مراسم برلين كانت في غير صالح شعوب أوروبا ، بل نتج عنها أضرار ظاهرة لحقت بهم ، فقد تضايق منها الهولنديون ودول بحر البلطيق والسويد والبرتغال ثم روسيا . وفطنت الشعوب إلى أن هذه المراسم لن يستفيد منها إلا نابليون لما بينه وبين إنجلترا من حزازات وعداء . وهكذا فدور الشعوب في الثورة ضد هذه المراسم وضد من أصدرها كان دوراً فعالاً ، عجّل بسقوط

نابليون . ثم أن دور الشعوب يظهر كذلك في حرب إيبيريا ، فقد كانت مظهراً من مظاهر الاعتداء على القوميات الأوروبية ، فهبت الشعوب تساعد حكامها . أضف إلى ذلك أن قرار الباسبا ضد نابليون جعل كافة الشعوب الأوروبية الكاثوليكية تقوم في وجهه .

الموقف في أوروبا بعد سقوط نابليون :

أصبحت أمور أوروبا في يد الدول الأربع الآتية : إنجلترا والنمسا وبروسيا والروسيا ، وكانت سياستها العودة بأوروبا إلى ما كانت عليه قبل الثورة الفرنسية ، بمعنى إعادة الحكم المطلق وسائر مظاهر الرجعية . وبالفعل نفذت المشروع ، فانعقد مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ عقب سقوط نابليون ، واتخذ القرارات الآتية وأهمها :

١ - ضم بلجيكا إلى هولندا .

٢ - إعادة لمبارديا إلى النمسا وضم البندقية إليها .

٣ - الأبقاء على الامبراطورية النمساوية بترك الشعوب الآتية ضمن أملاكها : الألمان والتشيك والمجر والسلاف والايطاليين .

وهكذا أغفلت هذه القرارات ما أتت به الثورة الفرنسية من مبادئ الحرية والديمقراطية والمساواة والروح الدستورية ، كما أغفلت كذلك الروح القومية القوية التي غمرت شعوب أوروبا ، فيكفي أنها أعادت تقسيم إيطاليا ، وفككت الاتحاد الألماني ، ثم أمعنت في غيرها ، فأعادت الأسرات الحاكمة القديمة وتركت لها الحرية في ممارسة الاستبداد والحكم المطلق ، كما

نسخة مجانية

كانت تفعل في مبدأ الأمر . وبالجملة فإن قادة المؤتمر وزعماءه راعوا مصالح الدول الكبرى كل المراعاة ، وأغفلوا مصالح الشعوب كل الاغفال . ولكن هل تسكت شعوب أوروبا على ذلك ، وقد ذقت طعم الحرية وعرفت الروح الدستورية وكان لها النصيب الأوفى في قهر نابليون وإسقاطه ؟

وهكذا فقد انقسمت أوروبا بعد سقوط نابليون الى قسمين :

القسم الأول وهو الحكومات أو الرجعيون ، ويتزعمهم مترنيخ رئيس وزراء النمسا ، حيث كانوا يصرون على الإبقاء على جميع مظاهر الحكم المطلق ، بل وإعادة النظم القديمة التي كانت موجودة منذ العصور الوسطى .

القسم الثاني وهو الشعوب وكانت لها ثلاث أهداف :

١ - تحقيق مبادئ الثورة الفرنسية .

٢ - تحقيق الاتجاهات الدستورية التي تطلعت إليها .

٣ - العمل على توحيد الدول وربط أقسامها السياسية .

وسنتحدث فيما يلي عن كيفية قيام الوحدة الإيطالية والاتحاد الألماني :

الوحدة الإيطالية

حالة إيطاليا من عام ١٧٨٩ الى ١٨٣٠ :

حالة إيطاليا عام ١٧٨٩ ، كانت تنقسم الى ما يلي :

بمالك ، مثل نابلي وبيدمنت ، ودوقيات ، وولايات البابا ، والجمهوريات المستقلة

مثل البندقية وجنوه ، وكانت تلك الأقسام متأخرة تماماً من الوجهة السياسية .
وكان البابا من ناحيته يصر على الاحتفاظ بسلطته واستقلاله .

وقد خضعت إيطاليا لحكم نابليون ، فأفادت منه بعض الفائدة ، ذلك أنها
في غضون هذا الحكم أصبحت تتكون من ثلاثة أقسام : مملكة إيطاليا ومملكة
بيدمنت ومملكة نابلي ، كما قام نابليون بإصلاحات هامة فاعتبر لذلك مؤسس
الوحدة الإيطالية . ومن هذه الإصلاحات قضاؤه على النظام الاقطاعي وسلطة
رجال الدين ، وتوحيد القانون والادارة وتنظيم الحكومة .

وفي سنة ۱۸۱۵ انعقد مؤتمر فينا ، فإذا به يتجاهل كل المبررات التي تجعل
من إيطاليا دولة موحدة ، وكل الآثار التي نتجت عن حكم نابليون . فأعاد
الحكام السابقين وظهر الحكم المطلق في نابلي وبيدمنت ، ثم إن سياسة النمسا في
حكم إيطاليا كانت تعتمد على الإبقاء على سلطتها والعمل على القضاء على كل
مظاهر التقدم في إيطاليا ، كذلك عاد البابا الى سلطانه وعادت سلطة رجال
الدين سيرتها الاولى .

بداية الثورة ، ظهور الجمعيات السرية :

تألفت في إيطاليا عدة جمعيات سرية ، وأشهرها جماعة الكاربوناري سنة
۱۸۱۶ . وقد كان هدف هذه الجماعة توحيد إيطاليا وطرد النمسا وإقامة حكم
دستوري سليم . وقد قامت الثورات في إيطاليا بتأثير هذه الجماعة ، فثار
أهالي نابلي عام ۱۸۲۰ . مطالبين بالحكم الدستوري . ولكن تصدت لهم النمسا
فاخذت ثورتهم ، وأعدت الحكم المطلق ، ولم تتورع عن الفتك بالأحرار .
وفي سنة ۱۸۲۱ ثار سكان بيدمنت مطالبين بالحكم الدستوري أيضاً وبتوحيد
إيطاليا وطرد النمسا . فتنازل ملكها عمانوئيل الأول لأخيه شارل فيليكس
نسخة مجانية

الذي كان غائباً ، فقام شارل ألبرت بتحقيق مطالب الشعب ، ولكن لما عاد شارل فيليكس استعان بالنمسا وقضى على الثورة .

وفي سنة ١٨٣٠ تجددت الثورات مرة أخرى في سائر أنحاء إيطاليا ، ومع ذلك فلم يكن مصيرها غير مصير أخواتها السابقات .

ولعل أسباب فشل هذه الثورات جميعها يرجع الى تصميم دول أوروبا الرجعية على إخماد الثورات تحقيقاً لسياسة مترنيخ ، كما انها كانت ثورات غير قومية ، فقد اقتصرت على بعض أفراد الشعوب ، كذلك يلاحظ أنها لم تفكر في الاستعانة بالدول الأجنبية أو مجرد كسب تأييدها .



مازيني

عوامل الوحدة الايطالية :

على أثر الفشل الذي أصاب الثورات التي قامت بها جماعة الكاربوناري

ظهرت في إيطاليا عوامل جديدة ، لتحقيق الوحدة ، أهمها :

أ - جماعة ايطاليا الفتاة :

وقد أسسها مازيني المحامي الإيطالي الذي عرف منذ نشأته بالعزلة والتفكير الطويل والحزن الدائم على بلاده ، لذلك صمم على العمل على تحقيق أهدافها ، فكوّن جماعة إيطاليا الفتاة . وقد كانت جماعة سرية وعضويتها قاصرة على الشباب دون الأربعين ، واعتمدت في دعوتها على مبادئ الحرية والقومية والمساواة ، كذلك حددت أغراضها على أساس طرد النمسا من جميع أنحاء إيطاليا ، وهذا لا يكون إلا بالحرب ، وعلى الايطاليين وخدم القيام بهذا ، كما تهدف أيضاً إلى توحيد جميع ولايات إيطاليا ، وتكوين دولة واحدة جمهورية . وبالفعل قامت هذه الجماعة الناشئة بحركات ثورية في بيدمنت عام ١٨٣٤ وفي نابلي عام ١٨٤٤ ولكن الحركتين فشلتا ، إذ يبسود أن الشعب لم يكن مهياً للتضحية والكفاح .

ب - جماعة المصلحين المعتدلين :

نشأت هذه الجماعة عام ١٨٤٤ عندما أخذ نجم مازيني في الأفول ، وغرضها هو توحيد إيطاليا ، ولكن عن طريق السلم والقانون على أن يتم هذا بمجهود الايطاليين وخدم . وقد انقسمت هذه الجماعة إلى قسمين : الحزب البدمنتي وحزب البابا ، وقد قام الحزب الثاني بحركات اصلاحية اعتبرها مقدمة لحركات أخرى في المستقبل ، فساوى بين رجال الدين والشعب في دفع الضرائب ، كما منح ابابا شعبه دستوراً سنة ١٨٤٨ .

نسخة مجانية

اندلاع الثورات في ولايات ايطاليا :

على إثر فرار مترنيخ زعيم الرجعية عام ١٨٤٨ اندلعت الثورات في جميع أنحاء إيطاليا ، في ميلان والبندقية وتورين ولبارديا وروما ونابلي وتسكانيا ، ورفع الجميع الراية المثلثة الألوان ، وكادوا ينتصرون ، لولا أن ساد الانقسام صفوفهم ، فمنهم من تشيع للملكية بيدمنت ومنهم من مال إلى جمهورية مازيني . وفي خضم هذه الثورات توالى الأحداث ، فالبابا يتراجع ويسحب دستوره ،



مترنيخ

ويقول إن واجبه ديني وليس سياسياً ، والنمسا تقرر إعادة الحكم المطلق في كافة الولايات ، أما بيدمنت فقد ظلت على نظامها الدستوري وكذلك روما وتسكانيا .

ويبدو ان بيدمنت أصبحت في نظر سائر الولايات الأخرى المثال الذي

يجب أن يحتذى ، فقد أبدت جميع الولايات بالغ إعجابها بملكة بيدمنت ، كما أن سيادة النمسا بدأت في التدهور ، وهكذا فقد أصبح النصر قريباً ومجيء يوم الحرب والوحدة صار متوقفاً بعد أن كان ميثوساً منه .

وحدة شمال ايطاليا :

صمدت بيدمنت للنمسا صموداً يدل على مظاهر البطولة والقوة ، وولي أمرها



شارل ألبرت

الملك عمانوئيل الثاني إثر تنازل شارل ألبرت ، فقرر عاهلها الجديد اتباع
السياسة الآتية :

نسخة مجانية

- ۱ - المحافظة على الدستور .
 - ۲ - تأييد الأحرار المطالبين بالوحدة أمثال غاريبلدي .
 - ۳ - تنشيط الإصلاح الداخلي .
- ولتنفيذ هذه السياسة اختار كاميلو كافور وزيراً له ، الذي شرع في الحال في إعداد خطته في توحيد إيطاليا على النحو الآتي :

- ۱ - تفادي الضعف الذي ظهر في الثورات السابقة .
- ۲ - الاستعانة بدول أجنبية كفرنسا وإنجلترا لاعتقاده أن إيطاليا وحدها لا يمكنها محاربة النمسا .
- ۳ - تحقيق الرخاء الاقتصادي للمساعدة في تحقيق الأهداف السابقة ، وشرع في الحال في تنفيذ هذه السياسة ، فوثق علاقته بفرنسا ، ثم اجتمع بالامبراطور نابليون الثالث في حمامات بلومبيير حيث اتفق على بعض الشروط منها :

- ۱ - ضم لمبارديا والبندقية الى بيدمنت .
- ۲ - تظل الولايات الوسطى ، وولايات الجنوب وأملاك البابا مستقلة ، تكون منها مملكة إيطاليا الوسطى .
- ۳ - تضم نيس وسافون الى فرنسا .

(اصول العالم الحديث ۱ ث - ۱۱)

على أن يتم ذلك بعد أن يقوم كافور بحاربة النمسا ويساعده في الحرب
الامبراطور نابليون الثالث ، على أن تكون النمسا هي البادئة بالعدوان .

ثم تتوالى الحوادث سراعاً وكأنها تسير حسب خطة مرسومة ، فالنمسا
تدخل الحرب ضد كافور وتتوالى عليها الهزائم . ولكن الامبراطور الفرنسي
حدث بعده ، فتقابل مع الامبراطور النمساوي دون علم كافور في زيورخ ،



فكتور عمانوئيل الثاني

واتفق الاثنان على صالح زيورخ عام ۱۸۵۹ . وينص على تنازل النمسا عن
لمبارديا لبينونت ، ثم تتحد إيطاليا بزعامة البسابا . وهنا ثار الوزير الايطالي
كافور وأسف على موقف فرنسا المخزي ، وطلب من الملك رفض المعاهدة .
ولكن الملك لم يمثل لأمر وزيره فاستقال الوزير حانقاً غاضباً . أما شعوب
الولايات الوسطى مثل مودينا وتسكانيا وبارما ورومانا فقد رفضت عودة حكامها

السابقين وأصرت على الانضمام لبيدمنت ، وأذعنت النمسا للأمر بإرادة الشعوب فوق كل شيء ، وانضمت تلك الأقاليم الى بيدمنت . وبذلك تم توحيد شمال ايطاليا .

الموقف بعد توحيد شمالي ايطاليا :

بقي على اتمام الوحدة الايطالية ضم البندقية ومملكة نابلي والجزء الأكبر من ولايات البابا . فعزم كافور - الذي عاد الى الوزارة - على ضمها ، لكنه رأى



غاريبيلدي

أن هذا الضم لا يصح أن يكون عن طريق الثورات خشية أن تقف أوروبا في وجهه ، لا سيما أن موقف نابليون الثالث جعله يبدو خائفاً من موقفه مستقبلاً .

نسخة مجانية

لذلك طلب من غاريبلدي سرّاً ان يقوم بهذا العمل ، وأيده بالأموال والذخائر ، وجمع نحو ألف من المتطوعين من ذوي القمصان الحمراء ، وكانوا كلهم فرحين بانضمامهم ومحاربتهم تحت لواء غاريبلدي . أما غاريبلدي فقد نزل هو ورجاله في نابلي ، ففزع ملكها واستقبله أهلها استقبالا حماسياً رائعاً مرحبين بانضمامهم الى بيدمنت . ولكن البعض أوعز الى غاريبلدي أن ينشئ جمهورية في نابلي



كافور

ويهمل أمر بيدمنت . ثم تتوالى الحوادث سراعاً ، فالبابا يقرر محاربة بيدمنت ، فقد زاد نفوذها زيادة أصبح يخشى منها على نفسه . وهنا نهضت بيدمنت ودخل جنودها ممتلكات البابا واحتلتها ما عدا روما ، وفي نفس الوقت دخلت نابلي فرحب بها غاريبلدي وتخلي عن مشروع انشاء الجمهورية وفرّ ملكها . أما البابا

فقد صمم على الاحتفاظ بسلطاته ونفوذه ، وأعرب عن عدم رضائه عن بيدمنت وملكها ، وصمم على أن يظل هو وخلفاؤه من بعده سجناء في قصورهم سخطاً على الدنيا واحتجاجاً على ايطاليا .

وفي ٢٠ سبتمبر ١٨٧٠ اقتحمت جيوش بيدمنت روما وتنازلت النمسا عن البندقية قبل ذلك . وبهذا تم توحيد ايطاليا ، الذي يعد بمثابة انتصار رائع لمبدأ القومية

الاتحاد الألماني

المانيا من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٣٠ :

لم تكن ألمانيا أمة موحدة وإنما كانت مكوّنة من أربعائة ولاية ومدينة حرة ودوقيات وامارات وممالك ، وكانت بروسيا هي أقوى الولايات شأناً . وقد حاول أباطرة الدولة الرومانية المقدسة توحيدها ولكن دون جدوى . وقد خضعت هذه الأجزاء الكثيرة لحكم نابليون فترة من الزمن ، قام خلالها بإدماج الكثير من الولايات في بعضها حتى أصبح عددها اثنين وأربعين ولاية ، كما أنشأ اتحاد الرين من ستة عشر ولاية تحت رياسته ، وأوجد في ألمانيا حكومة منظمة . وهكذا تعلم الالمان مزايا النظام والاتحاد ، كما أن اشتراكهم في حرب التحرير عامي (١٨١٣ - ١٨١٤) ضد نابليون بعث في نفوسهم الروح الوطنية ، لا سيما أنهم أحرزوا انتصاراً في موقعة ليبزج .

نسخة مجانية

ولكن مؤتمر فيينا - جرياً على عادته - تجاهل كل هذه المؤثرات وأنشأ اتحاد أسماء بند (Pund) وكان مفكك الأوصال يتألف من تسع وثلاثين ولاية أكبرها النمسا وبروسيا ، ويشرف عليه هيئة تعرف بالمجمع (دياط Diet) ومقره فرنكفورت . ولم يكن هذا المجمع يحمل في ثناياه تكوين أي لون من الديقراطية ولا من الروح الدستورية .

لذلك بدأت مظاهر الاستياء من الحكم الرجعي تظهر تباعاً ، فتكوتت جماعة البرشنشافت ، وكان أعضاؤها ينشدون الأناشيد الحماسية ويجوبون أنحاء البلاد لبث الروح الوطنية ، إذ كان هدفها الأوحيد هو الاتحاد . ويظهر أن انتصارهم في موقعة ليبزج ترك في نفوسهم أثراً لا يمكن محوه ، فذكراه يحتفل بها كل عام أروع احتفال . وفي عام ۱۸۱۹ أخذ طلاب الجامعة في وارتبرج بالاشتراك مع الجامعات الأخرى في تنظيم حفل كبير بمناسبة هذه الذكرى التي توافق كذلك ذكرى قيام مارتن لوثر في وجه البابا . وتبادل الطلاب والمدعوون الخطب والكلمات الحماسية وتعرضوا للحكم الدستوري مطالبين بتنفيذه في بلادهم . وفي المساء أوقدوا ناراً وأحرقوا كتب كوتزبوي الصحفي النمساوي المؤيد لسياسة مترنيخ ، وكان كارل ساند هو النجم اللامع بين الطلاب ، فهو أشدهم تحملاً . أما كوتزبوي فقد سخر من حفل الطلاب ، فلم يتردد كارل ساند في أن يصرعه ، وهاج الرجعيون وقبضوا على الطالب ساند وأعدم . أما جماعة البرشنشافت فأضافت إلى صفحات احتفالاتها السنوية ذكرى هذا الطالب ، فنهضت من حين إلى آخر تمجده . وفزع مترنيخ للأمر فدعا إلى مؤتمر في كارلسباد سنة ۱۸۱۹ ، حيث تقرر حل جماعة البرشنشافت والمضي في سياسة الكبت وفرض الرقابة على الاساتذة والطلاب .

عوامل الاتحاد الالماني :

إلا أنه بعد ذلك بعدة سنوات ظهرت عوامل كثيرة ساعدت على تكوين الاتحاد الالماني ، من بينها الاتحاد الجمركي المعروف « بالزلفرين » . ذلك أن بروسيا قد تزعمت هذا الاتحاد الاقتصادي الذي يهدف الى إلغاء الجمارك الداخلية . ولم يجل عام ۱۸۴۲ حتى كانت كل الولايات الالمانية قد انتظمت في عقد هذا الاتحاد ، وأصاب الاتحاد الاقتصادي نجاحاً ، مما جعل الالمان يتطلعون الى اتحاد سياسي ليزيدهم قوة وانتعاشاً ورخاء . وفي الوقت ذاته لم تتردد فرنسا في أن تظهر معارضة سافرة لأي مشروع يستهدف توحيد ألمانيا ، إذ أنها تخشى أن تزداد قوتها على مرّ الأيام حتى تصبح كالشوكة في ظهرها ، بالإضافة الى أن معظم الولايات الألمانية تعرضت لهزات اقتصادية عنيفة أثرت في الأعمال المختلفة ، فعملت الكثير منها ، وبات شبح البطالة يتهدد الكثيرين مما جعلهم يعتنقون المبادئ الاشتراكية وينادون بأن العمل حق للجميع . وفي الوقت ذاته أسهم تقدم وسائل المواصلات في التمهيد للاتحاد ، إذ أوجد رأياً عاماً يشمل كافة الولايات ويصدر عن كافة الأفراد .

لذلك كان لا بد من اندلاع الثورة تدريجياً ، وما أن حل عام ۱۸۴۸ حتى كان الالمان قد هبوا مطالبين بالحكم الدستوري أولاً ثم بتوحيد ألمانيا ، وقد سارع بعض الأمراء الى تلبية رغبات شعوبهم ، وأظهر هذه الولايات بروسيا إذ منح فريدريك وليم الرابع شعبه دستوراً وضعه بنفسه ، أصبح بمقتضاه في بروسيا برلمان مكون من مجلسين . وقد اقتدت معظم الولايات ببروسيا فمنحت شعوبها الحكم الدستوري ، وبذلك أصبح موقف بروسيا شبيهاً بموقف بدمنت

أعلام حركة الاتحاد الألماني



فريدريك وليم الرابع



فريدريك وليم الثالث

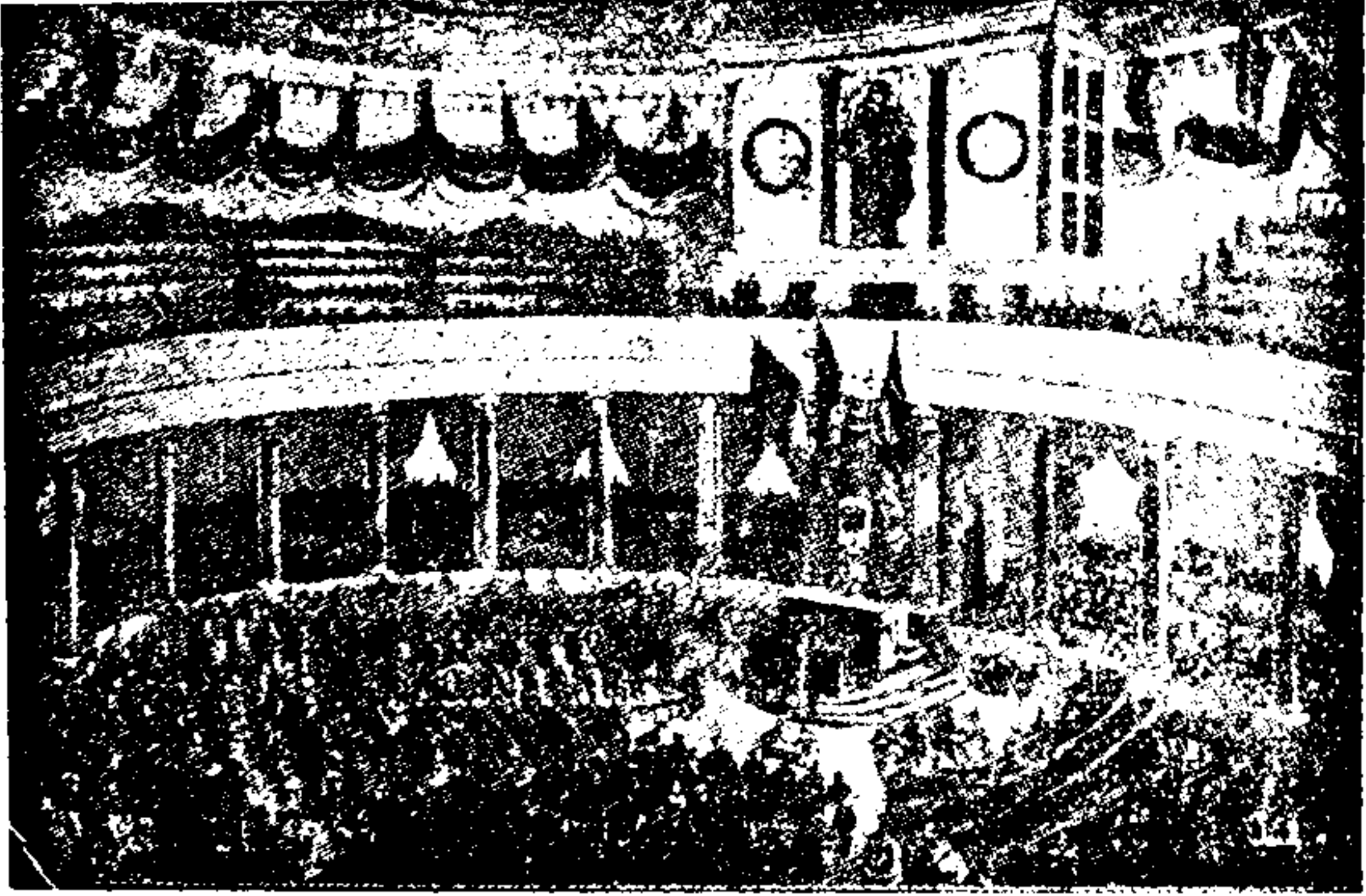
في الوحدة الإيطالية ، كما ذكرنا آنفاً ، وأصبحت بروسيا رائدة الاتحاد والمثال الذي على سائر الولايات أن تحذو حذوه .

مؤتمر فرانكفورت : مايو عام ١٨٤٨ :

قرر هذا المؤتمر البدء في إجراء انتخابات في جميع الولايات الألمانية لعقد

نسخة مجانية

برلمان ألماني يعمل على توحيد ألمانيا ثم وضع دستور عام لها . وقد تم انتخابه بالفعل وبلغ عدد أعضائه ستمائة ، اجتمعوا في فرنكفورت . غير أن الخلاف بدأ يظهر حول مسألة إبقاء النمسا أو إخراجها من الاتحاد . وكان الاتجاه يرمي



برلمان فرنكفورت

الى إخراجها ، ومن هنا عملت النمسا على إحباط المشروع ورفض فردريك قبول تاج ألمانيا خوفاً من النمسا التي هددت بالحرب .

سياسة بروسيا بعد فشل المؤتمر :

تولى الملك وليم الاول بعد وفاة فردريك عام ١٨٦١، وكان ساخطاً على النمسا التي تقف دائماً في وجه الأتحاد ، وكان يرى كذلك أن ضعف بروسيا الحربي هو الذي يجعلها تتقاعد عن محاربة النمسا ، لذلك أسند رئاسة الوزارة الى بسمارك ،



وليم الاول

الذي كان يؤمن إيماناً راسخاً بضرورة اتحاد المانيا بزعامة بروسيا ، على أنه يرى أن هذا الاتحاد لن يتم بالخطب والمناقشات بل بالحديد والنار . فالخطب وأغلبية الأصوات لا تحل عظيم المشكلات ، إذ لا بد في ذلك من الحديد والنار . ولكن هناك دولتان تحولان دون هذا الاتحاد وهما النمسا وفرنسا ، لذلك عزم بسمارك على قهرهما حتى يتم التوحيد . فقام من أجل ذلك بثلاثة حروب ،

نسخة مجانية

حرب الدانمارك ، والحرب البروسية النمساوية ، والحرب البروسية الفرنسية
(حرب السبعين) .

حرب الدانمارك :

كان ملك الدانمارك يحكم مقاطعتي شلزويج ومعظم سكانها من الألمان
ومقاطعة هلمشتين وكل سكانها من الألمان أيضاً . وكانت الولايتان كارهتين لحكم



بسمارك

الدانمارك فاستغل بسمارك هذه الكراهية للدانمارك وأعلن الحرب عليها مطالباً
بإعادة الولايتين ، وبالفعل اكتسحت قواته الولايتين وتنازلت الدانمارك عنها ،

ومع ذلك لم يظفر بسمارك إلا بولاية واحدة ، إذ اتفق على أن تحكم بروسيا
شازويج بينما تحكم النمسا هلشتين .

الحرب البروسية النمساوية :

بدأ بسمارك يتحين الفرص ليخضع النمسا ويظفر بولاية هلشتين ، فبدأ في
توجيه الاتهامات والانتقادات الى النمسا ، وذلك لإثارتها وحفزها إلى إعلان
الحرب على بروسيا، وتم له ما أراد، وأعلنت النمسا الحرب وظهرت قوة بروسيا،
وتوالت انتصاراتها الرائعة ، فاحتلت هانوفر ودرزودن وكاسل وبوهيميا ،
وهزمت النمسا في (سادوا) ، وأصبحت قوات بروسيا على مشارف فيينا .
فأذعن النمسا وسارعت الى طلب الصلح ، وتم عقد صلح براج في ٧ أغسطس



نابليون الثالث

نسخة مجانية

سنة ۱۸۶۶ ، وينص على إخراج النمسا من الاتحاد الألماني وتنازلها لبروسيا عن كل حق في الولاياتين ، كما ينص على تكوين اتحاد الماني من الامارات الشمالية بزعامة بروسيا ، وتنضم الولايات الجنوبية إذا شاءت اليه ، وبذلك تم اتحاد شمالي ألمانيا بزعامة بروسيا من ۲۲ ولاية .

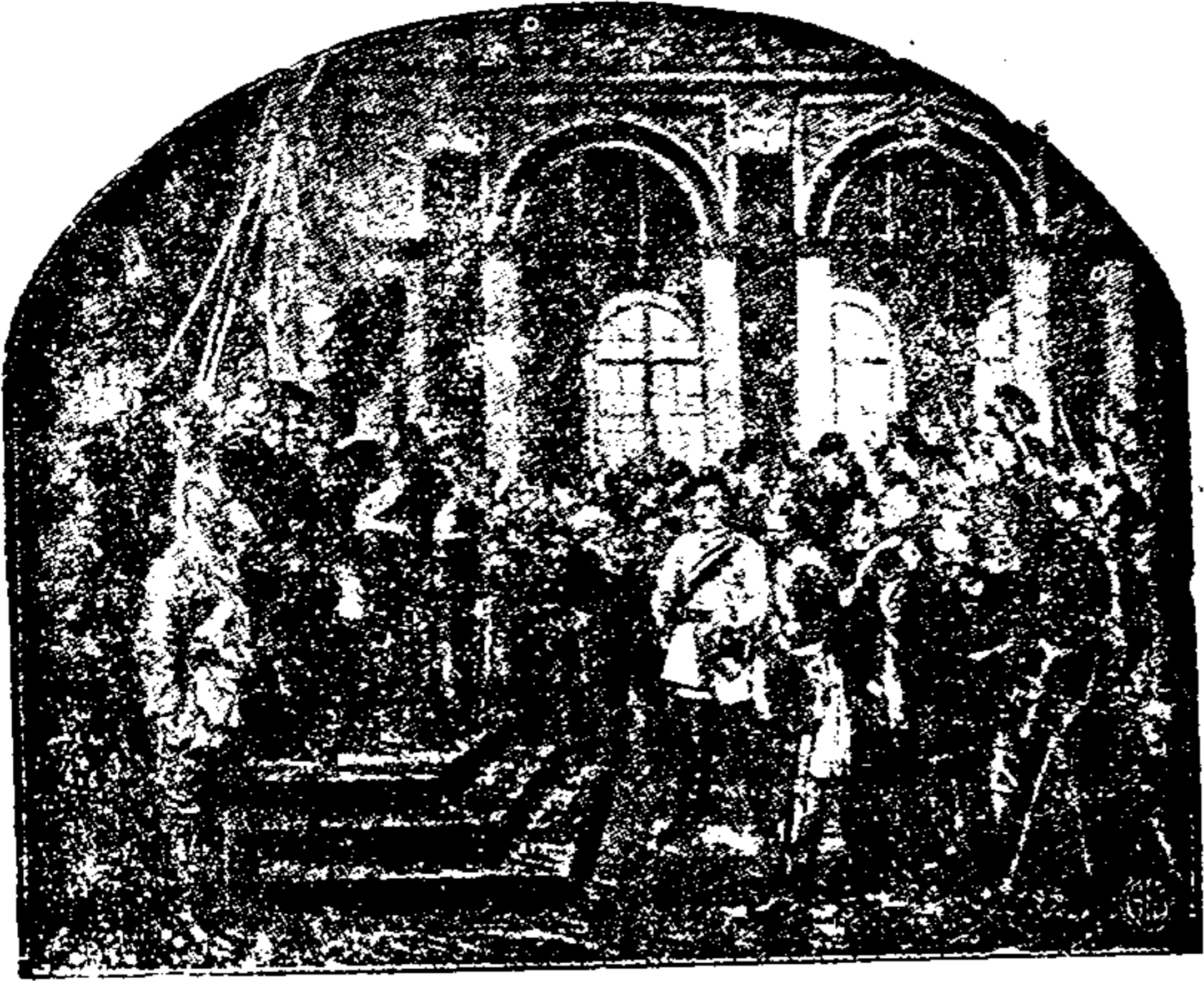
الحرب البروسية الفرنسية (حرب السبعين) :

فزعت فرنسا لنبا اتحاد شمال ألمانيا واعتبرت هزيمة النمسا في سادوا كأنها هزيمتها ، وأعلنت عن ضرورة مقاومة هذا الاتحاد بشتى الطرق والوسائل . وتوتر الموقف بين بروسيا وفرنسا واخذت الدولتان تتحيانان الفرصة للحرب . ولم تلبث أن سححت هذه الفرصة المرتقبة عندما اختلفت الدولتان على مسألة وراثة العرش الأسباني . فأعلنت فرنسا الحرب على بروسيا ، فابتهج بسمارك وانهزم الفرنسيون واستمروا في الانسحاب ، وأصبحت قوات بروسيا على أبواب باريس . ففر الامبراطور وطلب الفرنسيون الصلح . فتم عقد صلح فرنكفورت سنة ۱۸۷۱ وأهم شروطه النص على استيلاء ألمانيا على الالزاس واللورين ، وإرغام فرنسا على دفع غرامة حربية والإذن لبروسيا باحتلال أراضيها فترة من الزمن .

وبعد ذلك وافقت الولايات الجنوبية على الانضمام نهائياً الى اتحاد شمال ألمانيا . ثم أعلن دستور الامبراطورية الجديدة الذي جعل السلطة التنفيذية في يد الامبراطور والمستشار الامبراطوري ، أما السلطة التشريعية فأصبحت في يد مجلسين تشريعيين ، أحدهما يمثل حكام الولايات والثاني يمثل الشعب .

وبعد الاتحاد الألماني بمثابة انتصار آخر لمبدأ القوميات في أوروبا ، وتنفيذ

عملي لمبادئ الثورة الفرنسية . وقد أصبحت ألمانيا بعد ذلك أقوى دول أوروبا
البرية .



إعلان ولیم الأول إمبراطوراً على ألمانيا في فرساي

نسخة . جانبية

الباب الثالث

يقظة الشعوب ضد الاستعمار الأوروبي

- ۱ - عرض سريع للتوسع الاستعماري الأوروبي في الشرق بآسيا وإفريقية.
- ۲ - أثر الاستعمار في إضعاف معنويات الشعوب واقتصادياتها وكيانها السياسي والاجتماعي (أمثلة من بلدان العالم العربي) .
- ۳ - عرض موجز لأهم الحركات القوية لمناهضة الاستعمار الأوروبي في كل من البلاد العربية والهند وأندونيسيا .

الفصل الاول

الاستعمار الاوروي في الشرق بآسيا وإفريقية

على أثر حركة الكشف الجغرافي التي بدأت في منتصف القرن الخامس عشر وقامت بها كل من أسبانيا والبرتغال ، أخذت الدول الأوروبية عامة والبرتغال وأسبانيا وهولندا وفرنسا وإنجلترا خاصة ، في التفكير في استعمار الأجزاء المكشوفة من العالم ، حتى إذا ما حل القرن الثامن عشر ، ثم القرن التاسع عشر كانت أوروبا قد بسطت نفوذها في معظم بقاع العالم .

عوامل الاستعمار الأوروي في الشرق :

لقد تضافرت عدة عوامل زينت لأوروبا استعمار الشرق ، إلا أن هذه العوامل تختلف في اتجاهاتها كما سنذكر ذلك فيما بعد . ولعل أول هذه العوامل هو ذلك التنافس الشديد بين دول أوروبا على كشف أسواق جديدة لمنتجاتها الصناعية من جهة ، وبحثاً عن المواد الخام اللازمة لصناعاتها من جهة أخرى . ومن هنا كان الاستعمار الأوروي للبلاد المتخلفة في ميدان الصناعة ، والتي يمكن استغلالها كأسواق لتصريف المنتجات المتزايدة ، وكذلك البلاد ذات الثروات والغنية بمخزونها المعدنية . واتخذ هذا التنافس شكل التحكم في مصادر الإنتاج الزراعي والمعدني ، بمعنى أن تحتكر بعض الدول إنتاج وتصدير أنواع

معينة من الانتاج الزراعي . كما أن الثورة الصناعية وبخاصة في بدايتها كانت مصدر ثراء فاحش عند الكثيرين من الأوروبيين ، إذ زادت الأرباح وتوفرت رؤوس الأموال ، فرغب الكثيرون في استثمارها خارج بلادهم طمعاً في ربح أوفر وأملاً في ثراء أكبر . ومن هنا ظهر الاستعمار الاقتصادي في بعض البلدان الذي ما لبث أن تطور إلى استعمار عسكري .

كذلك اعتبرت بعض الدول الاستعمار وسيلة لحل مشكلة تزايد السكان فيها ، فهاجر بعض الانجليز إلى كندا وأستراليا وغيرهما واستوطنوا فيها ، وانتقل كثير من الهولنديين إلى جزر الهند الشرقية ، ورحل بعض الايطاليين من بلادهم إلى ليبيا ، كما انتقل بعض الفرنسيين إلى الجزائر . ثم إن القرن التاسع عشر تميز بظهور دول جديدة طامحة إلى المجد ، مثل ألمانيا وإيطاليا وبلجيكا ، ولما كان المجد في عرف الدول هو الاستعمار ، لذلك لم تتردد هذه الدول في تقليد من سبقها والنزول إلى ميدان الاستعمار ، حتى أصبح الاستعمار في نظر بعض الدول غاية وهدفاً . ولعل أصدق مثال على ذلك تفكير بلجيكا في استعمار الكونغو . ثم إن الدول الأوروبية رأت أن مركزها العسكري لا يمكن أن يتدعم ويزداد قوة إلا بالاستعمار ، فالمستعمرات تغذي البلاد بالرجال والمؤن . ولو حللنا نتائج الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وحاولنا أن نعلل انتصار من انتصر فيها لوجدنا أن ذلك لم يتم إلا بالمساعدات الضخمة التي حصلوا عليها من البلاد التي سيطروا عليها . فانتصار إنجلترا وفرنسا إنما كان بمساعدة الهند والهند الصينية وأستراليا وكندا وإفريقيا وبلاد العالم العربي ، وإن كانت إنجلترا وفرنسا لا تعترفان بذلك في سهولة .

أما المستعمر فلا بد أن يبرز موقفه ويزينه في أعين المستعمرين ، فيزعم لهم أنه لا ينبغي غير سعادتهم ورفقيهم ، بل ورفق الإنسانية جمعاء ، وأن هدفه

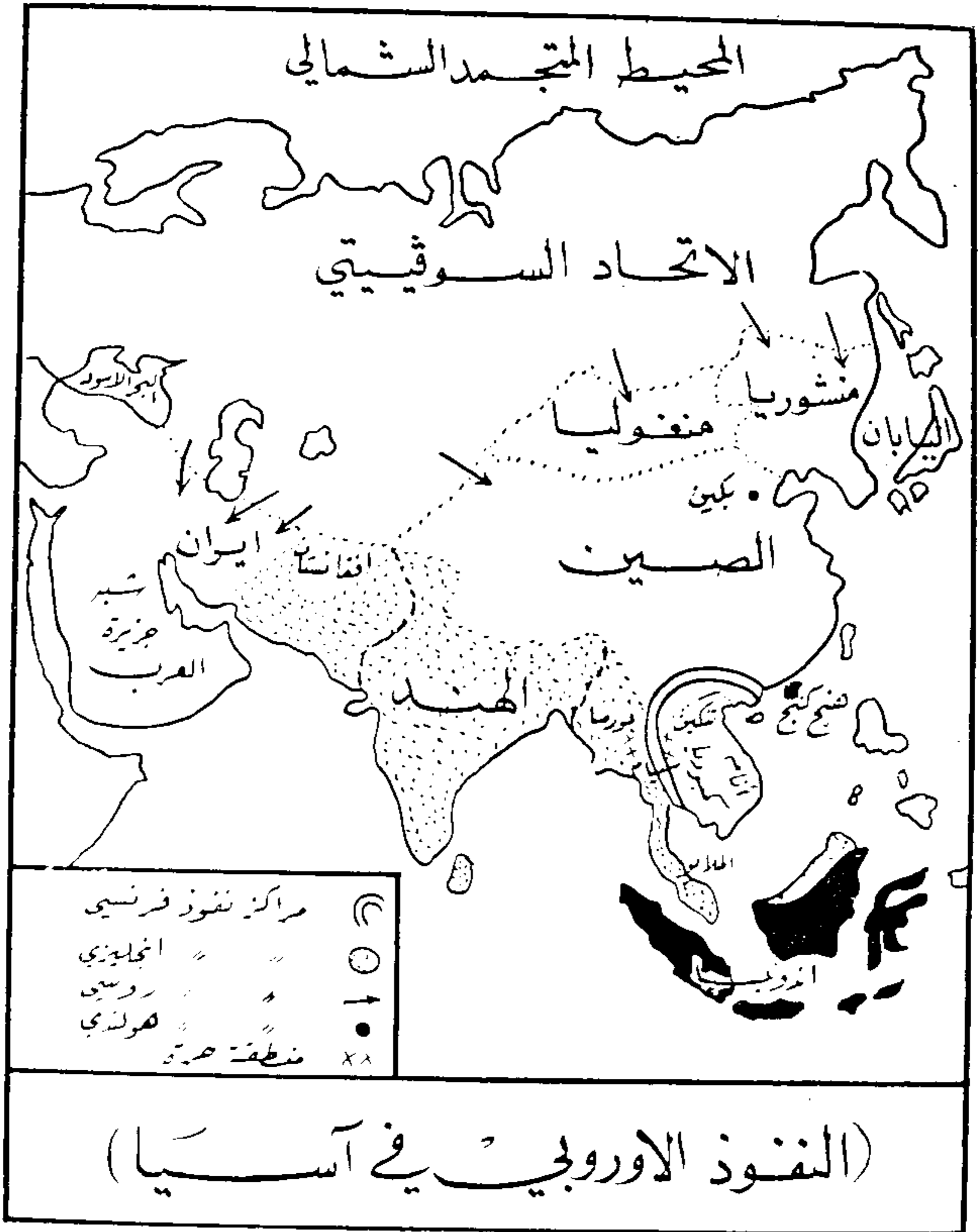
نسخة مجانية

النهوض بالمستويات المختلفة في هذه البلاد ، حتى تستطيع أن تقف الى جانب الدول المتحضرة العريقة في الحضارة . ومن هنا راح ينشر الثقافات الأوروبية بصورها المختلفة ، وفي الوقت ذاته لماعرف دعاة التبشير ، من كاثوليك وبروتستانت ، بأن هناك جهات بعيدة يسكنها وثنيون ، أو من لا دين لهم ، عزموا على الانتقال إليها للتبشير ، كما حدث في جزائر الفيلبين وفي اليابان وفي الصين .

أما صور هذا الاستعمار وأساليبه فقد تنوعت وتفرعت ، فهو في الجزائر ومصر والهند الصينية وليبيا والحبشة وغيرها قد اتخذ صورة احتلال عسكري سافر غير عابىء باحتجاجات الأهالي المتوالية ، وهو في العالم الجديد (الأمريكتين واستراليا) يتخذ صورة هجرة واستيطان ، وفي جنوب إفريقيا يتخذ مظهر سيادة طبقية للجنس الأبيض على الجنس الأسود ، الذي حُرم تماماً من المساواة مع الجنس الأبيض . ومن صور الاستعمار ما تمّ تحت اتفاقيات وهمية مع أفراد غير مسؤولين ، أو تمّ تحت ضغط وإرهاب ، كما حدث في جنوب الجزيرة العربية . ومنه ما اتخذ صورة امتيازات أجنبية جعلت الأوروبيين في بعض البلاد يمثلون دولة داخل دولة ، مما أتاح لهم فرصاً متنوعة وكثيرة للتدخل في شؤون الحكم والإدارة في هذه البلاد . كذلك من صور الاستعمار صورة اسمها الانتداب والوصاية ، وكان أصحابها يعطون لأنفسهم مظهراً رسمياً ، وبهذه الصورة حصلت إنجلترا على فلسطين والعراق والاردن ، كما حصلت فرنسا على سوريا ولبنان بنفس الطريقة .

عرض سريع للتوسع الاستعماري في الشرق :

بعد أن عرفنا العوامل التي دفعت أوروبا الى استعمار الشرق ، والصور



نسخة مجانية

المختلفة التي استتر تحتها هذا الاستعمار ، نعرض الآن في شيء من الإيجاز للطريقة التي تم بها استعمار أوروبا للشرق ، بحيث أصبح كله في حوزتهم تقريباً. فبالنسبة للشرق الأقصى ويقصد به الصين والهند الصينية وأستراليا وجزائر الهند الشرقية نجد أن بلاد الصين كانت في معزل تام عن القارة الأوروبية حتى أواخر القرن التاسع عشر . وقد تنبّه الأوروبيون إلى ثروة هذه البلاد ، فعز عليهم ألا تسقط في أيديهم ، واتجهت إنجلترا إلى استعمال سياسة التودد والصدّاقة أولاً كوسيلة لتثبيت بها قدمها في الصين . فطلبت من حاكم الصين أن يسمح لها بتعيين ممثل سياسي لها لدى امبراطور الصين ، ولكن امبراطور الصين كان مترفعاً ومتعصباً لبني جنسه ، يؤثر عدم الاختلاط بغيره ، فلم يتردد في رفض طلب إنجلترا في كبرياء وترفع . فاتجهت إنجلترا على الفور إلى الالتجاء إلى القوة ، فحاربت الصين عام ۱۸۴۰ ، وألزمتها بفتح ثغورها للتجارة ، كما تخلت الصين عن ميناء هنج كونغ لانجلترا ، وبعد ذلك أخذت رفود الأجانب تتوالى عليها . كذلك سيطرت إنجلترا على بورما وضمتها إلى الهند ، كما سيطرت فرنسا على الهند الصينية ، واستولت إنجلترا أيضاً على جزيرة بورنيو وغينيا الجديدة وسيلان وأستراليا وزيلندا الجديدة وتسمانيا . أما هولندا فكانت قد سبقت إنجلترا واستولت على الجزء الأكبر من جزر الهند الشرقية . ولما اكتملت الولايات المتحدة الأمريكية اتجهت إلى الاستيلاء على جزر الفيليبين وجزر هاواي .

أما الاستعمار الأوروبي في الشرق ، ويقصد به إيران وأفغانستان وبلوخستان ، فالملاحظ أن هذا الاقليم كان موضع مناقشة شديدة بين كل من روسيا وإنجلترا . وكانت إنجلترا تخشى على الهند من امتداد النفوذ الروسي إليها ، لذلك تركت روسيا تطلق يدها في بلاد التركستان ، بينما أخذت إنجلترا تنشر نفوذها في بلاد البنجاب وبلوخستان ، ثم كان نزاعهما الأخير على نشر نفوذهما في إيران .

أما الشرق الأدنى ، ويقصد به شمال أفريقيا وشرقها وسورية والعراق ،

فقد كان هو الآخر موضع تنافس لدول أوروبية ، على رأسها إنجلترا وفرنسا وإيطاليا . فهاجمت إيطاليا بلاد الحبشة عام ۱۸۹۶ ، ولكنها هُزمت ، فعادت إلى مهاجتها عام ۱۹۳۸ ، واستولت عليها ، ثم جلبت عنها بعد الحرب العالمية الأخيرة . واحتلت إنجلترا مصر في سنة ۱۸۸۲ ، وبسطت نفوذها في السودان بعد ذلك . ثم احتلت فرنسا الجزائر عام ۱۸۳۰ وبسطت نفوذها على تونس عام ۱۸۸۱ ومراكش عام ۱۹۱۲ ، وانصرفت إيطاليا إلى احتلال طرابلس الغرب سنة ۱۹۱۲ . واقتسمت فرنسا وإنجلترا بلاد الشام والعراق بمقتضى معاهدة سيفر عام ۱۹۲۰ عقب الحرب العالمية الأولى .

الفصل الثاني

آثار الاستعمار في الشعوب

الآثار السياسية :

للاستعمار آثاره السياسية السيئة ، فنجد في البلاد العربية يسلبها حريتها السياسية ويجعلها خاضعة له خضوعاً تاماً ، كما أنه مزق وحدة العالم العربي ، تلك الوحدة التي عرفها العرب منذ أكثر من ألف عام والتي بفضلها كان العرب قوة كبيرة طوال العصور الوسطى . فقسم البلاد العربية الى مناطق نفوذ ، هي منطقة النفوذ الفرنسي ، ويمتد من المحيط الاطلنطي الى ليبيا ، ومنطقة النفوذ الإيطالي من حدود تونس الى حدود مصر ، ثم قسم وادي النيل الى مصر والسودان ، وجعل من الاقليمين منطقة نفوذ إنجليزية . وقسم الشام كذلك الى منطقتين ، منطقة للنفوذ الفرنسي في الشمال وأخرى للنفوذ الانجليزي في الجنوب . أما العراق فجعله وحدة منفصلة تتبع التاج البريطاني تبعية مباشرة . ثم آثار روح التفرقة والانقسام والانفصالية في جنوب الجزيرة العربية ، إذ جعل مناطقها نهياً مقسماً بين عدة إمارات وسلطنات ومشيخات صغيرة . والأدهى من ذلك انه عمد الى تفتيت الوحدة العربية داخل منطقة النفوذ الواحدة ، ومن أمثلة ذلك الاستعمار الفرنسي في سوريا ؛ حيث قسم البلاد الى أربع وحدات ، مستغلاً المذاهب الدينية ، بل أكثر من ذلك فرض نفسه على البلاد فرضاً ، واعتبر نفسه

صاحبها وولي أمرها ، وراح ينزع منها ما يشاء ويعطيه لمن يشاء ، ومن أمثلة ذلك انتزاع إقليم الاسكندرونة من سوريا ومنحه لتركيا ، وفتح أراضي فلسطين للهجرة اليهودية ، ووعدته إياهم بمنحهم فلسطين العربية لهم لينشئوا فيها وطناً يهودياً .

وفي غرب العالم العربي نهج الاستعمار نفس الاسلوب السابق ، فاعتبر نفسه مالك البلاد وصاحب الأمر فيها . فاعتبر الايطاليون في ليبيا والفرنسيون في تونس والجزائر والمغرب أرض العرب ملكاً لهم ، وعمدوا الى استغلالها والاستيطان فيها كما فرض اليهود أنفسهم على فلسطين العربية ، وفرض الفرنسيون أنفسهم على الجزائر العربية ، وأصبحت مشكلة فلسطين والجنوب العربي من أهم المشاكل التي يواجهها العرب الآن .

وتظهر آفة الاستعمار السياسي في لون الحكم السياسي الذي فرضه على البلاد العربية ، فهو يحرم العرب من الحياة الدستورية كما حدث في مصر ، ويفرض عليهم مظهراً كاذباً من الحياة النيابية ويزعم أنهم لازالوا قليلي الخبرة بالشؤون الدستورية ، ثم إنه جعل الوظائف الكبرى وقفاً على ممثليه ، أما ما دون ذلك من وظائف فيمكن للوطنيين أن يشغلوها تحت رياسة ورقابة المستعمر . وإذا كانت سياسة المستعمر هي إشاعة الفرقة في الوطن العربي بأسره ، فهي أيضاً نفس السياسة داخل البلاد التي يحتلها ، فشجع الروح الحزبية ، وناصر بعض الأحزاب حيناً وتخلي عنها حيناً آخر ، عاملاً على ضربها ببعضها ، وغير ذلك من المساويء الاستعمارية الكثيرة .

الآثار الاقتصادية :

وللإستعمار كذلك مساوئه الاقتصادية ، فقد وجه موارد البلاد ونتاجها

نسخة مجانية

الى مصالحه الخاصة ، فشجع رؤوس الأموال الاجنبية على غزو البلاد واستثمارها فيها ، وأصبحت معظم الشركات أجنبية تدار لمصالح الدول الاستعمارية . كما أصبحت التجارة كلها تقريباً في أيدي الأجانب ، كما اتجه أيضاً إلى محاربة الصناعة الوطنية التي يفكر الوطنيون في إنشائها ، ليضمن استمرار تبعية البلاد العربية له اقتصادياً كما تتبعه عسكرياً وسياسياً ، وليضمن تصريف منتجات مصانعه فيها ، واكتفى بتوجيه نظر الوطنيين الى الاشتغال بالزراعة ، زاعماً لهم أن الصناعة تتطلب قدرة فنية لم يصلوا إلى درجتها بعد. وهذا ما فعله الاستعمار حين حل بمصر ، إذ زين للناس أن الزراعة خير وأبقى من الصناعة ، وراح يقنعهم بأن بلادهم زراعية بحكم التكوين الجغرافي لها ، وان انتشار الصناعة فيها ليس أمراً سهلاً لأنه يتنافى مع تكوينها الطبيعي ، والزراعة في حد ذاتها ليست شراً ، فهي مصدر ثراء كبير لو أحسن التصرف فيها ، ومع ذلك وجه الاستعمار الزراعة لخدمته ، ففرض حاصلات معينة ثم احتكر استيرادها ، مثل القطن في مصر والسودان ، والتمر في العراق ، وزيت الزيتون في تونس والمغرب . أما ثروات البلاد المعدنية وبخاصة البترول فقد اعتبرها ملكاً حلالاً له ، واتجهت الشركات الأجنبية الى استغلالها .

ثم إن الاستعمار شجع نظام الاقطاع الزراعي ، وحرّم على السواد الاعظم من الشعب أن يعيش في مستوى لائق . ولذا شاع الفقر والبؤس في ربوع العالم العربي ذي الخيرات الوفيرة والموارد الكثيرة . ولكي يضمن الاستعمار استمرار تبعية العرب له اقتصادياً ربط عملته بعملتهم ، فالبلاد الخاضعة للنفوذ الانجليزي ربطت عملتها بالجنيه الاسترليني والبلاد الخاضعة للنفوذ الفرنسي أخضعت عملتها للفرنك الفرنسي ... وهكذا .

وعلى الرغم من تجاوز البلاد العربية وسهولة إقامة شبكة مواصلات تربطها

ربطاً وثيقاً فإن الاستعمار لم يفكر بذلك مطلقاً، إذ كيف ييسر وسائل الاتصال بينها وهو لا يفكر إلا في الامعان في تفتيتها ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

دور الاستعمار في اضعاف معنويات الشعوب :

أما دور الاستعمار في إضعاف معنويات الشعوب وكيانها الاجتماعي فلا يحتاج الى ايضاح . وقد مرّ بنا الآن كيف شجع المستعمر قيام نظام طبقي أساسه وجود فئة من الاقطاعيين والاحتكاريين يستأثرون بالثروة ، ولا مانع من أن يمضي باقي أفراد الشعب حياتهم في ذل وفقر وشقاء . ثم إنه جعل من بعض البلاد مرتعاً خصباً للاجانب ، فشجع بعضهم على النزوح الى البلاد والاستيطان فيها واعتبرهم طبقة أرستقراطية أجنبية لا مانع إطلاقاً من أن تستعبد المواطنين وتسخرهم لخدمتها .

أما الأمراض الاجتماعية فقد راح ينشرها المستعمر في البلاد العربية بغير حساب . فعلم الناس النفاق وفقدان الثقة بالنفس وعدم تحمل المسؤولية ، وأشاع فيهم روح الخوف والجن من الحاكم ، والتشكك في أعمال الغير . كما نشر بينهم عادات مردولة زاعماً أنها من مميزات المدنية ، مثل تعاطي الخمر ولعب الييسر ، والاستخفاف بكل ما هو عربي على اعتبار أنه قديم مردول ، والتباهي بكل ما هو أوروبي على أساس أنه حديث جذاب .

هذا ما فعله الاستعمار يوم أن ثبت أقدامه في بلادنا . بل هو قليل من كثير ، لذلك كان لا بد أن يهب العرب في مختلف أجزاء وطنهم ليدفعوا عنهم هذا الكابوس البغيض وهذا المستعمر الدخيل ، وأن تعود بلادهم الى أصحابها نقية طاهرة كما كانت أول مرة .

الفصل الثالث

الحركات القومية لمناهضة الاستعمار الاوروبي

أولاً : في البلاد العربية

كفاح عرب مصر :

منذ مجيء حملة نابليون الفاشلة الى مصر عام ۱۷۹۸ وانجلترا ترقب مصر وتنتهز الفرص لتتدخل في شؤونها . فقررت سنة ۱۸۰۷ احتلال مصر ، ولكن الظروف لم تساعد فانسحبت . وقد عادت تتدخل في شؤون مصر وعملت على القضاء على تزايد نفوذ محمد علي وذلك في معاهدة لندن سنة ۱۸۴۰ . ولما ظهرت فكرة حفر قناة السويس بدأت تكثرت تدخلها في شؤون البلاد ، حتى إذا ما تم حفر القناة كانت قد وطدت العزم على الاحتلال . غير أنها رأت أن تمهد لهذا الاحتلال ، فاستغلت الأزمة المالية التي مرت بمصر أثناء حكم اسماعيل وأخذت تتدخل في شؤونها الداخلية توطئة لبسط سيطرتها . وقد تم لها بالفعل السيطرة على مرافق البلاد المالية ، وأصبح لها وزير انجليزي في الوزارة المصرية ، ثم كانت لها بعد ذلك اليد الطولى في عزل اسماعيل . لذلك عزم

الخدوي توفيق الذي تولى بعد اسماعيل أن يكون حليفاً لها حتى لا يكون مآله هو مثل مآل والده .

ثم تعرضت مصر بعد ذلك في عهد توفيق للثورة العرابية التي كانت موجّهة ضد الحكم المطلق ، ثم التقت رغبات العرابيين برغبات الشعب المصري الذي كان يرغب في حكم دستوري سليم . غير أن تطورات حوادث الثورة جعلت إنجلترا تحقق هدفها ، فنزلت في الاسكندرية سنة ١٨٨٢ لتبدأ احتلال البلاد .

مظاهر الاستياء والكفاح ضد المستعمرين

من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٣٦ :

ظهرت بوادر الحركة الوطنية المصرية بفضل مصطفى كامل إثر حادثة دنشواي ، التي استقال بسببها اللورد كرومر. غير أن الظروف ساعدت إنجلترا ، فقد قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ . ولكن في سنة ١٩١٩ قام المصريون بثورتهم المعروفة حيث اضطر الانجليز الى تحقيق بعض طلبات المصريين في شكل تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ وكل ذلك بفضل مجهودات المصريين . ثم أخذت المفاوضات تدور بينهم وبين الانجليز ، حيث انتهت بمعاهدة سنة ١٩٣٦ واعتبرت في نظر البعض كمقدمة ستنال مصر بعدها كامل استقلالها .

أما معاهدة عام ١٩٣٦ فقد ظهرت مساوئها بوضوح أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد أرغمت مصر بحكم هذه المعاهدة على جمع مواردها وتقديمها للانجليز ، وقطع علاقاتها السياسية بألمانيا المعادية لانجلترا ووضعت الحرب أوزارها سنة ١٩٤٥ ، وظن المصريون أن فجراً مشرقاً قد بزغ نوره ، وأن تحقيق الأمل

نسخة مجانية

في الاستقلال قد بات متوقفاً . ولكن يظهر أنهم كانوا حسني النية بالانجليز الذين لم يلبثوا أن تنكروا لوعودهم .

وتمضي الحوادث في مصر بعد ذلك هادئة حيناً مضطربة حيناً آخر فالمفاوضات تستمر بين الانجليز والمصريين فترة ثم تحمد فترة أخرى ، ثم تنهض الحكومة المصرية عام ۱۹۵۱ وتعلن إلغاء معاهدة سنة ۱۹۳۶ وتعيء قوى الشعب لمكافحة الانجليز وطردهم .

ثورة يوليو عام ۱۹۵۲ :

حتى إذا بزغ فجر يوم ۲۳ يوليو (تموز) سنة ۱۹۵۲ قامت ثورة الجيش ومن ورائه الشعب ضد عوامل الفساد في البلاد . وما إن أرست الثورة أقدامها حتى شرعت في تعبئة قوى الشعب ، ولم تجد في ذلك أي عسر أو مشقة ، فقد كان الأفراد جميعاً على أهبة الاستعداد للنضال من أجل الحرية والاستقلال . فجنح المستعمر للسلم وألقى سلاحه وسلمت بمطالب الشعب ، وعقدت مع حكومة الثورة اتفاقية الجلاء في ۱۹ أكتوبر سنة ۱۹۵۴ ، التي تنص على جلاء جميع قوات الاحتلال في مدة لا تتجاوز عشرين شهراً من تاريخ عقد الاتفاقية ، وقد تم بالفعل الجلاء قبل الموعد المحدد .

وفي ۲۶ يوليو عام ۱۹۵۶ رأت مصر أن تتخلص من آخر قيد من قيود الاستعمار ، فأعلنت تأميم قناة السويس . وكأنما عز على المستعمر أن يشهد مصرعه بنفسه ، فكان أن دبر عدواناً ثلاثياً على القناة ، لكنه كان اعتداءً فاشلاً فقد أخفق فيه اخفاقاً ذريعاً ، ولقنه المصريون درساً لن ينساه الى الأبد .

كفاح عرب الشام :

على أثر هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) اضطرت الى عقد معاهدة سيفر ، وأهم شروطها : أن توضع مصر تحت الحماية البريطانية ، وتنتدب فرنسا لإدارة شؤون سوريا ، وانجلترا لإدارة شؤون العراق وفلسطين . وبذلك تكون تركيا قد تنازلت نهائياً عن هذه البلاد التي ظلت تحكمها منذ سنة ١٥١٧ . أما سياسة الفرنسيين في حكم سوريا فكانت تعتمد على إشاعة التفرقة والانقسام في صفوف الأفراد ، فقسّموا سوريا الى ولايات صغيرة أهمها :

حلب ويلحق بها لواء الاسكندرونة وعاصمتها اللاذقية ، وجبل الدروز ، وسوريا . وعينت الحكومة الفرنسية حاكماً فرنسياً لحلب ، أما سوريا وجبل الدروز فكان يحكمها حاكم سوري .

مظاهر الكفاح :

قام أهل الشام بثورات متكررة ضد الحكم الفرنسي من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٢ ، فلبّات فرنسا إلى أساليب المهادنة ، فقامت بانتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد فاز فيه بالأغلبية حزب الكتلة الوطنية . فقامت على أثر ذلك حكومة دستورية جمهورية ١٩٣٢ برئاسة محمد علي العابد . ولكن هذا الوعي والتطور لم يعجب الفرنسيين فلجأوا الى أساليب الاستبداد والشدة ، حتى قام السوريون بحركة إضراب شاملة استمرت عاماً ، مما كان موضع إعجاب وتقدير الجميع . وأمام الأمر الواقع رأى الفرنسيون ضرورة مسايرة رغبة الوطنيين فنوّم بمعاهدة قبلها الشعب السوري قبولاً مؤقتاً ، غير أن فرنسا عادت فتنكرت لهم ورفضت المعاهدة .

نسخة مجانية

وهنا شاعت في سوريا موجة من التدمير والفضب ، وألقى الفرنسيون الدستور السابق وحكوا البلاد حكماً ديكتاتورياً حتى قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٢٩ . وحدث مثل هذا في لبنان ، فإن عروبة أهله أبت عليهم أن يستكينوا للاستعمار على الرغم من محاولاته التفرير بهم ، فاجتمع زعماء البلاد بطوائفهم المختلفة وأصدروا قراراً بحق لبنان في الاستقلال والحرية ، كما قرروا التفاهم والتعاون مع سوريا . وواصل عرب لبنان كفاحهم حتى اضطروا فرنسا الى عقد معاهدة عام ١٩٢٦ ، شبيهة بالمعاهدة الفرنسية السورية وإن كانت أسوأ منها ، ومع ذلك فقد رفضها البرلمان الفرنسي ومضت فرنسا بدورها في التنكيل بالأحرار المناضلين .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية من سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥ ، وشعر الفرنسيون والانجليز بحاجتهم الى معونة العرب ، فعادوا الى مهادنتهم وإطلاق الوعود الجذابة والأمانى التي يرغبها الشعبان المكافحان . غير أن فرنسا لاحظت أن انجلترا تعمل خفية على طردها من منطقة الشرق العربي ، فكان أن ردت على ذلك بإعلان استقلال كل من الجمهورية السورية والجمهورية اللبنانية في نوفمبر عام ١٩٤١ ولكنها ربطت ذلك بشروع معاهدة يعقد بينها . ومع ذلك بقيت القوات الفرنسية والبريطانية تحتل البلاد عامين آخرين حتى انتهت الحرب وانتصر الحلفاء عام ١٩٤٥ . وهنا عزم عرب لبنان وعرب سوريا على رفض كل الوعود والمعاهدات ووضع خطة للكفاح . فاندلعت الثورة القومية من جديد وظن الفرنسيون أن الأمر سهل فما هي إلا بضعة طلقات من مدافعهم حتى تسكت الثورة وتخمد في الحال . ولكنهم كانوا في ذلك واهمين ، إذ ما أن قصفوا المدن السورية بالمدافع حتى هاج الرأي العام العربي وتدخلت القوات البريطانية . وامتثلت الدولتان للأمر الواقع وأعلنتا استقلال سوريا ولبنان ، وتمّ جلاء

قواتها في ابريل ١٩٤٦ . وهكذا تحقق لعرب سوريا ولبنان استقلالهم التام .

كفاح عرب شرق الاردن :

سمحت بريطانيا بإقامة مملكة في شرق الاردن تحت انتدابها، ويتولى إمارتها الأمير عبدالله بن الحسين الذي ظل على ولاء تام ببريطانيا طوال الحرب العالمية الثانية . ولما انتهت الحرب طالبها بإنهاء الانتداب و بإعلان استقلال الامارة ، وأظهر كامل استعدادة لمعاونتها في إنشاء قواعد عسكرية . وبالفعل عقدت معاهدة التحالف في مارس عام ١٩٤٦ ، وكانت تحمل في ثناياها كل معاني الاستعمار والاحتلال . فقد أيدت إبقاء القوات البريطانية في البلاد دون تحديد أجل لذلك ، كما ربطت البلاد سياسياً بعجلة بريطانيا . ونهض عرب الاردن ساخطين منددين ، وأظهروا استعدادهم للنضال من أجل الحرية والاستقلال . ووجد الملك عبدالله نفسه في موقف حرج ، فطالب الانجليز بالتخفيف من قيود معاهدة ١٩٤٦ ، فعقدت معاهدة عام ١٩٤٨ التي كانت كسابقتها . ولذا سخط عرب الاردن عليها ، واغتيل الملك عبدالله في سنة ١٩٥١ .

كفاح عرب فلسطين :

أما مشكلة فلسطين فقد كانت أعسر المشاكل حلاً ، فقد تضافرت عليها قوى الاستعمار ممثلة في الصهيونية والاستعمار الغربي ، ذلك أن فلسطين وضعت تحت إدارة بريطانية كان على رأسها مندوب سام يهودي أخذ يشجع هجرة اليهود الى فلسطين . وأدرك عرب فلسطين ما يراد بهم وما يدبر لهم في الخفاء ،

فهبوا سنة ١٩٢٠ يتظاهرون ضد الاستعمار ويطالبون بإلغاء وعد بلفور وإنهاء الانتداب البريطاني وتشكيل حكومة نيابية مستقلة . غير أن الانجليز مضوا في حكم البلاد بأسلوبهم ، كما سمحوا لليهود بإنشاء الوكالة اليهودية التي فرضت سيطرتها على حكومة الانتداب ، كما شكلت جماعة ارهابية عسكرية . وردت عرب فلسطين على ذلك بالكفاح والمقاومة ، حتى بلغ النضال ذروته سنة ١٩٣٦ حين أعلنوا الاضراب العام وأصبحت البلاد مرتعاً للفوضى والاضطرابات . وأرادت إنجلترا أن تضع حداً لذلك ، فوضعت مشروع تقسيم لفلسطين على الرغم من احتجاج العرب . ولم يزد ذلك الثورة إلا اشتعالاً ، بل زادها قوة ووسع نطاقها حتى أعلن الانجليز تخليهم عن مبدأ التقسيم سنة ١٩٣٧ .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ حيث شجعت إنجلترا ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية اليهود على الهجرة ، وأصبحت مشكلة فلسطين من المشاكل المستعصية بعد أن أسهمت أمريكا فيها ، بل أصبحت لها اليد الطولى . وودن العرب جيش التحرير العربي . وما أن أعلن الانجليز انتهاء الانتداب على فلسطين في مايو سنة ١٩٤٨ حتى أعلن اليهود قيام دولتهم المزعومة . ثم تطور الأمر بسرعة ونشبت الحرب بين الدول العربية ويهود فلسطين . وعلى الرغم من عدم استعداد العرب وعدم تكامل قواتهم فقد أحرزوا انتصارات رائعة ، حتى أصبحوا على مشارف تل أبيب . إلا أن الاستعمار عاد فتدخل في صورة قرارات أصدرها مجلس الأمن بوقف القتال ، وانتهى الأمر بعقد هدنة مؤقتة ، وهكذا أصبحت المشكلة الآن على النحو الآتي :

قسم احتله الصهيونيون وزعموا قيام دولة فيه هي اسرائيل ، وقسم ضار

تابعاً للمملكة الاردنية وهو غرب الأردن ، وقسم احتفظت به الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وهو قطاع غزة . ولن يسكت العرب على ذلك ، فقد عزموا على المضي في الكفاح حتى تتوحد فلسطين ويعود عرب فلسطين إلى أرضهم المسلوبة .

كفاح عرب العراق :

اصبح العراق في حوزة انجلترا منذ الحرب العالمية الأولى ، إذ في نهاية الحرب فرض الانتداب البريطاني على العراق . فعمت الثورة جميع العناصر العراقية وعجز الانجليز عن اخمادها ، ولذا أخذوا يفاوضون الزعماء بشأن تأسيس حكومة وطنية . وبالفعل تأسست هذه الحكومة ، ووضع الانجليز في كل وزارة مستشاراً انجليزياً لا ينفذ أمر دون مشورته .

وانتهى الأمر بتولي الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق سنة ١٩٢١ . ولم يكن البريطانيون جادين في مساعدة العراق على الاستقلال ، بل كان الأمر لا يزيد عن صورة جديدة من صور الانتداب . فنهض العراقيون يناضلون بكل قوة . وأمام تصميم الشعب العراقي المكافح عقدت انجلترا معهم معاهدة عام ١٩٣٩ ، حيث أقرت فيها باستقلال العراق بعد أن فرضت عليه تحالفاً حددت فيه أمده بخمس وعشرين عاماً . وفي عام ١٩٤١ قام انقلاب عسكري في العراق بزعامه رشيد عالي الكيلاني ، إلا أن هذا الانقلاب كان انقلاباً فاشلاً استطاعت انجلترا أن تقضي عليه في مهده وأن تدخل بغداد ، وعاد الأمر إلى ما كان عليه من قبل .

واستمر النضال بعد ذلك حتى اضطرت انجلترا إلى عقد معاهدة سنة ١٩٤٨ ، وكانت هي الأخرى نجيبة للآمال ، فلم يرض عنها الشعب وظلت معاهدة سنة

نسخة مجانية

۱۹۳۰ کا كانت . وفي سنة ۱۹۵۵ عقد ميثاق بغداد الذي نص على إلغائها
معاهدة ۱۹۳۰ ، وتمهدت الحكومة العراقية بأن تضع قواعدها الجوية تحت
تصرف الدرل الاستعمارية المشتركة في الحلف .

ولم يسكت العراقيون على هذه الأحداث التي توالى في غير مصلحتهم ،
وهبوا ساخطين على ربط بلادهم بالأحلاف وطالبوا بالتححرر التام . ومن هنا
قامت ثورة ۱۴ تموز (يوليو) عام ۱۹۵۸ .

كفاح عرب شمال أفريقيا :

لم يتوان العرب في شمال أفريقيا عن مقاومة الاستعمار الايطالي في ليبيا ،
والفرنسي في تونس والجزائر والمغرب . ففي ليبيا نهض السنوسيون منذ عام
۱۹۱۱ يقاومون الاستعمار ، وفي عام ۱۹۳۱ قاد الشهيد عمر المختار حركة
المقاومة ، إلا أنها انتهت بإعدامه . ولما قامت الحرب العالمية الثانية سنة ۱۹۳۹
تجمع عدد كبير من المتطوعين الليبيين وساعدوا الجيش البريطاني على دخول ليبيا
وطرد الايطاليين منها . وبدلاً من أن يرد لهم الانجليز هذا الصنيع ويمنحوهم
أهل البلاد حق تقرير مصيرهم نجدهم يتنكرون لهم ، وانتهى الأمر الى تقسيم
البلاد الى ثلاث مناطق نفوذ : برقة وطرابلس وقران ، ووضعت المنطقتان
الأولى تحت النفوذ البريطاني ، في حين وضعت المنطقة الثالثة تحت النفوذ
الفرنسي ، وفي نفس الوقت استولت أمريكا على بعض القواعد الجوية في طرابلس
وهكذا أصبحت البلاد تثن تحت استعمار متعدد ، ولكن إلى حين . ذلك العام
في أول يونيو (حزيران) أعلن الأمير محمد السنوسي استقلال برقة ، ومع ذلك
فقد أصرت إنجلترا على الاحتفاظ بحق الدفاع عنها . ثم رأت جامعة الدول
العربية أن تساعد ليبيا على الظفر باستقلالها ، فاتحد مندوبوها في هيئة

السنة مطالبين الهيئة بالعمل على تحقيق ذلك . وقد أقرت هيئة الأمم هذا القرار وأصدرت قراراً نص على أن يتولى شؤون البلاد مجلس استشاري خلال فترة الانتقال. ولما انتهت هذه الفترة تم استقلال البلاد وتحققت وحدتها ، ونودي بالأمير السنوسي ملكاً عليها سنة ١٩٥٢ . وفي عام ١٩٥٥ تم جلاء القوات الفرنسية نهائياً عن فزان ، وإن كانت إنجلترا وفرنسا لا تزالان محتفظتين ببعض القواعد في طرابلس مقابل إعانة مالية تدفعانها للمملكة الليبية سنوياً .

ونفض عرب تونس كذلك يناضلون نضال الأبطال ضد الاستعمار الفرنسي فتألفت الأحزاب السياسية ووضعت أول هدف لها مقاومة الاستعمار ، ثم مضت تثير الحماسة في الشعب بالخطب والمقالات حيناً وبالمظاهرات حيناً آخر ، أما الحكومة الفرنسية فكانت تلين حيناً وتظهر بمظهر القوي حيناً آخر ، ولكنها قوة غاشمة تعتمد على اعتقال الزعماء وكبت الحريات والوقوف في وجه الأحرار . وفي عام ١٩٤٢ ولي عرش تونس محمد المنصف الذي نهج على الأخذ بيد الأحرار المناضلين ، ولكن الاستعمار سرعان ما عزله ونفاه إلى خارج البلاد . وفي عام ١٩٤٦ اجتمع مؤتمر وطني عام طالب فيه التونسيون بالاستقلال التام وأعربوا عن رغبتهم في الانضمام إلى الجامعة العربية . ثم عزم التونسيون على عرض قضيتهم على مجلس الأمن حتى يشهد العالم بأسره وحشية الاستعمار في القرن العشرين . وانتهى الأمر بأن امتثلت فرنسا للأمر الواقع وعقدت مع تونس ، معاهدة ١٩٥٥ ، اعترفت فيها باستقلال تونس .

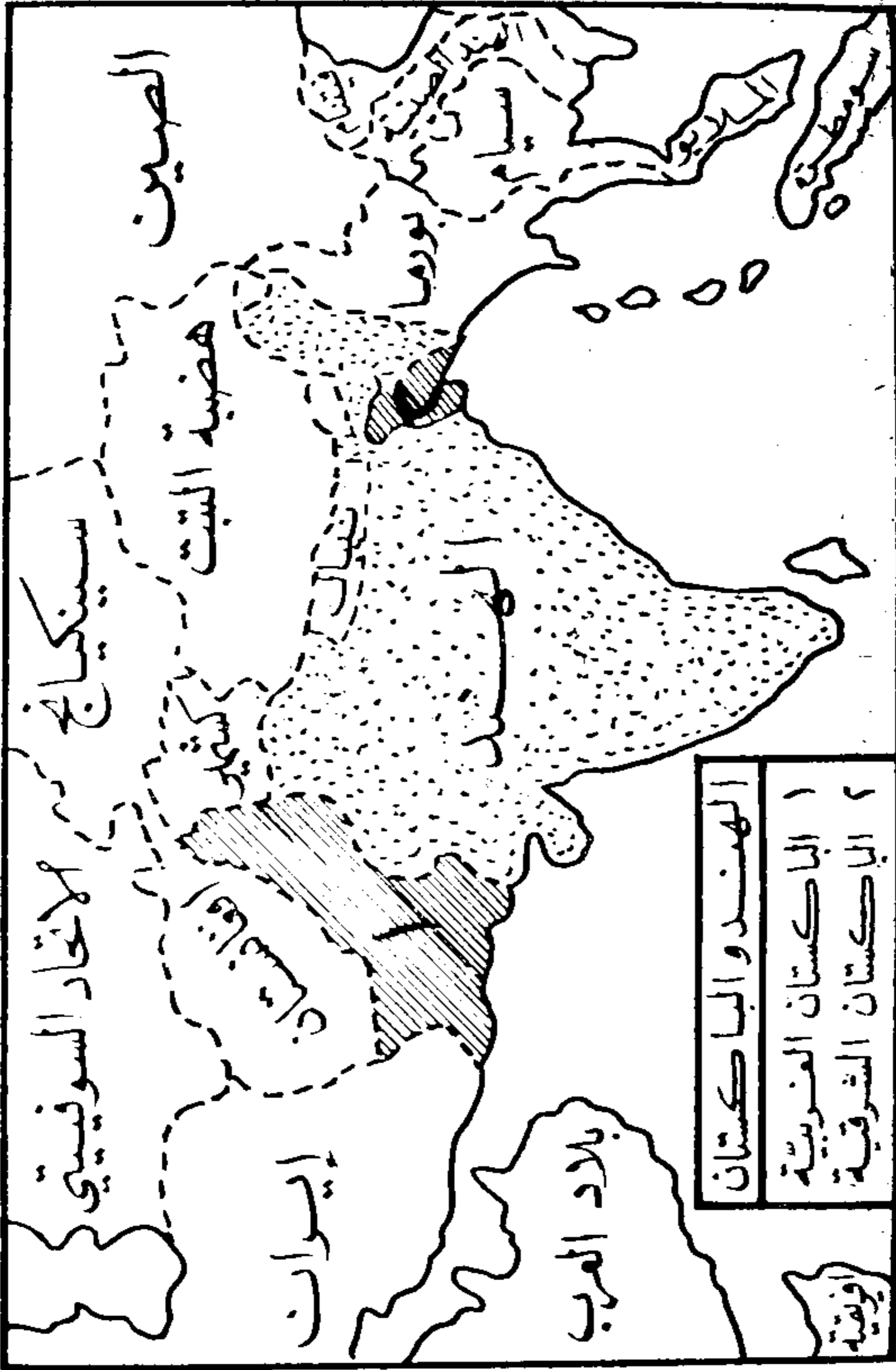
وتجلت بطولة عرب المغرب في مقاومتهم للاستعمار في ثورة الريف بقيادة المجاهد الكبير محمد عبد الكريم الخطابي . وقد ظلت هذه الثورة إلى أربع سنوات من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٦ ، وكانت مظهراً رائعاً من مظاهر

نسخة مجانية

نضال العرب الذي كاد يؤدي نتائج طيبة لولا اتجاه فرنسا إلى سياسة خطيرة تهدف إلى فرنسة عرب المغرب وجعلهم فرنسيين ، وتنزع عنهم عربيتهم المحيطة وإسلامهم الحنيف . فتشكلت في الحال هيئة عرفت « بكتلة العمل الوطني » ، ونهضت هذه الهيئة تبصر الناس بما يحاط بهم من نوايا سيئة ومقاصد مفرضة ، وتعدّهم للمقاومة من جديد ، إبقاء على عربيتهم الخالدة ودينهم الاسلامي الحنيف ، كما ساعد الأحرار الملك محمد بن يوسف الذي كان قد ولي أمر البلاد . ولذا لجأت فرنسا كعادتها إلى أساليب الضغط والبطش والتنكيل بالأحرار .

ثم رأى زعماء البلاد أن يوحدوا صفوفهم ، فتكوّن حزب واحد عرف بحزب الاستقلال والأخذ بالنظام الدستوري . ولكن فرنسا ركبت رأسها وأصرت على عنادها فاسية أنها مهما أوتيت من قوة لن تتغلب على العرب الأحرار المناضلين . ولذا لجأ عرب المغرب إلى عرض قضيتهم على الأمم المتحدة عام ۱۹۵۲ ، فضاقت فرنسا ذرعاً بهذه الحركات التي دمغتها بالخزبي والعار أمام المحافل الدولية . فألقت القبض على عدد كبير من الوطنيين وعلى رأسهم الملك الراحل محمد الخامس ونفته إلى جزيرة مدغشقر . فاندلعت الثورة من جديد قوية عنيفة بشكل لم تألفه فرنسا من قبل ، ولذا اضطرت إلى الامتثال للأمر الواقع ، وأعطت المغرب استقلاله ، وأعدت الملك إلى عرشه .

أما عرب الجزائر فمناضلوا سنوات طويلة حتى انتزعوا الاستقلال انتزاعاً . فقد زعمت فرنسا ان الجزائر ليست إلا امتداداً لفرنسا . ومنذ عام ۱۹۴۷ ونار النضال لا تخمد إلا لتبدأ من جديد . ولعلنا نذكر بكل تقدير ما قام به الأمير عبد القادر الجزائري وحكومة الجزائر الحرة برئاسة فرحات عباس ، ثم برئاسة يوسف بن خده ، ولم يفتر نضال الجزائر لحظة حتى كمل بالنجاح .



نسخة مجانية

ثانياً : كفاح الهند ضد الاستعمار

سياسة انجلترا في الهند بعد الحرب العالمية الأولى :

ظلت الهند أثناء الحرب من سنة ۱۹۱۴ الى سنة ۱۹۱۸ على ولائها التام لانجلترا ، وأمدتها بالمساعدات اللازمة . وفي عام ۱۹۱۷ أعلنت الحكومة البريطانية ترضية لشعور الهند أنها تنوي منح الهند حكماً ذاتياً ، وبالفعل أصدرت دستور ۱۹۱۹ الذي يعتبر بداية الحكم الذاتي وخطوة هامة نحو الاستقلال ، فقد سمح هذا الدستور بزيادة الأعضاء المنتخبين في المجالس التشريعية كما وسع من سلطتهم عن ذي قبل .

حالة الهند الداخلية :

منذ أن تسلل الانجليز الى الهند وهم يعملون على تثبيت أقدامهم فيها باستغلال الخلاف الطائفي . وملخص المشكلة الطائفية في الهند هو أن معظم سكانها من الهندوس ، ولهم تقاليد وعبادات غريبة ، هي تقديس الحيوانات وتحریم ذبحها بل وعبادة بعضها . على أن الاسلام لم يلبث أن انتشر في الهند وخضع له ملايين الأفراد الذين خالفوا الهندوس في معتقداتهم واستغل الانجليز حالة العداء بين المسلمين والهندوس وهي حالة طبيعية اقتضاها التباين الكبير بين عقائد المسلمين وعقائد الهندوس . فبدأ الانجليز يتقربون الى الهندوس ويخصمون المسلمين بالوظائف العامة في الدولة ، ورأى الهندوس بدورهم الاعتماد على الانجليز ليعيدوا

غير أنهم لم يلبثوا أن فطنوا الى أن المستعمر يستغلهم لمصلحته
فقضوا في الحال مقاومته والقضاء عليه وذلك بفضل الزعيم غاندي.

أ- الكفاح ضد المستعمر :

اعتمد غاندي في النظام الذي وضعه للكفاح ضد المستعمر على سياسة المقاومة
التي هي : وأن يجعل القوة الروحية تتغلب على القوة المادية . ولتحقيق ذلك قرر
السياسة وفق ثلاثة مبادئ :

أ - البحث عن الحقيقة ومقاومة الشر مقاومة سلبية دون الإلتجاء الى
العنف .

ب - مقاطعة البضائع الانجليزية والاكتفاء بالقليل .

ج - عدم الإلتجاء الى العنف .

د- باكستان والهند :

تم طالب المسلمون بتكوين دولة خاصة بهم ، وذلك بضم الولايات التي يكثر
المسلمون ، وهي البنغال والبنجاب والسند ، وتجتمع كلها في باكستان وولاية
غيره . وقد صدر أمر تقسيم الهند في ۱۵ أغسطس عام ۱۹۴۷ الى دولتي الهند
باكستان ، وتم إعلان استقلال الدولتين في نفس السنة ، وانضمتا الى
دولت البريطاني ، ومضت الدولتان في طريق التقدم بخطوات فسيحة .

نسخة مجانية

ثالثاً : كفاح أندونيسيا ضد الاستعمار

تتكون أندونيسيا من مجموعة جزر كثيرة تقع بين قارتي آسيا وأستراليا ، وبين المحيط الهادي شرقاً والهندي غرباً ، وأهمها سومطرة وجاوه وبورنيو وغينيا . وقد اطلق عليها اسم اندونيسيا منذ حوالي مائة سنة أو أكثر ، ومعناه جزائر الهند ، وعدد سكانها ۷۶ مليون نسمة ومعظمهم من المسلمين . والبلاد خصبة في معظم أجزائها ، ويعتمد سكانها على الزراعة ، وأهم محاصيلها التوابل والتبغ والشاي والبنترول . وهي من الدول العريقة في الاسلام ، إذ انتشر فيها منذ القرن الثالث عشر الميلادي .

وقد مرّ بك أثناء دواستك لحركات الكشف الجغرافي كيف بدأ الاستعمار الأوروبي لهذه البلاد بنزول الهولنديين في هذه الجزر منذ القرن السابع عشر ، على أن غرضهم في مبدأ الأمر كان غرضاً اقتصادياً مرتبطاً بالتجارة ، فتأسست شركة الهند الشرقية الهولندية ۱۶۰۲ . وأشرفت الحكومة الهولندية على إدارة هذه الشركة ، وقد عملت على احتكار التجارة ، وكانت تعقد المعاهدات مع الملوك والأمراء . ولم تلبث أن بدأت هولندا تتدخل في الشؤون الداخلية والسياسية ، وتغيرت اتجاهات الشركة ، فبعد أن كانت ذات طابع اقتصادي بحت أصبحت تشمل النواحي السياسية الاستعمارية كذلك .

مظاهر الكفاح ضد الاستعمار الهولندي :

بدأ الشعب الاندونيسي الكفاح ، وتكون حزب عرف باسم « شرطي

ثم تألف الحزب الوطني الأندونيسي بزعامة « سوكارنو » وانضم اليه
الهنديون . وقد لجأ الهولنديون الى وسائل الارهاب والشدة لإخماد الحركة
الوطنية ، وألقوا القبض على أحمد سوكارنو رئيس الحزب ونفوه إلى أحرار
نيوايا . وفي نفس الوقت حاول اليابانيون التقرب الى اندونيسيا ، وأظهروا
استعدادهم للتعاون معهم على مقاومة الهولنديين ، وقد لقيت هذه الدعوة
ترحيباً من زعماء البلاد ، ولكن الشعب الاندونيسي لم يلبث أن عرف نوايا
اليابان السيئة نحوهم فنهض يناضل نضالاً عنيفاً من أجل طرد المستعمرين .

وقد أخذت مقاومة الهولنديين مظهراً عنيفاً ، إذ دُمر معظم منشآتهم
وأهلك ما في الأرض من حرث وزرع وحرقت آبار البترول . وإزاء ذلك امتثل
الهولنديون للأمر الواقع ، كما وقفت الولايات المتحدة الأمريكية الى جانب
الاندونيسيين بعد أن كانت تناصر هولندا . وفي ١٧ اغسطس سنة ١٩٤٥ أعلن
الشعب الأندونيسي تكوين جمهورية مستقلة بالبلاد ، برئاسة أحمد سوكارنو ،
واعترفت هولندا بهذه الجمهورية سنة ١٩٤٦ .

الفهرست

| | |
|----|--|
| ٣ | مقدمة |
| ٥ | منهج التاريخ |
| ٩ | الأول : |
| ١١ | أوروبا قبل عصر النهضة |
| ١١ | المجتمع الاوروبي في العصور الوسطى |
| ١١ | الممالك الجرمانية |
| ١٣ | النظام الاقطاعي |
| ١٨ | الأحوال الفكرية في المجتمع الاوروبي في العصور الوسطى |
| ٢١ | عصر النهضة في أوروبا |
| ٢١ | التعريف بعصر النهضة |
| | خصائص النهضة الأوروبية وانتقال المجتمع الأوروبي من |
| ٢٢ | العصور الوسطى الى العصور الحديثة |
| ٢٧ | قيام النهضة الأوروبية وازدهارها |
| ٢٧ | أثر الحضارة العربية الاسلامية في أوروبا |
| ٣٠ | الآداب الانسانية |
| ٣٣ | ظهور اللغات الحديثة |
| ٣٤ | التقدم العلمي |
| ٣٧ | الإختراعات الحديثة |
| ٤٠ | النهضة الفنية |
| ٤٣ | إيطاليا مهد النهضة الاوروبية |
| ٤٣ | العوامل التي جعلت إيطاليا مهد النهضة |

المراكز الكبرى للنهضة في إيطاليا

۴ - انتقال النهضة الى خارج ايطاليا

أقول النهضة الايطالية

النهضة في ألمانيا

النهضة في فرنسا

النهضة في إنجلترا

۵ - الحركة الدينية في العصور الوسطى

العوامل التي ساعدت على قيام حركة الاصلاح الديني

زعماء الحركة الدينية

الباب الثاني : الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الاوروبي

العالم الاسلامي قبل حركة الكشوف الجغرافية

العوامل التي أدت الى قيام حركة الكشوف الجغرافية

الكشوف البرتغالية

اثر الكشوف الجغرافية البرتغالية في السوق العربية

و حوض البحر المتوسط

الكشوف الاسبانية

الكشوف الانجليزية الفرنسية

تفوق هولندا التجاري ومستعمراتها

اثر الكشوف الجغرافية في العالم العربي

الباب الثالث : تقدم العلوم الطبيعية

۱ - عوامل تقدم العلوم الطبيعية

۲ - مناهج البحث العلمي

۳ - مظاهر تقدم العلوم الطبيعية عند المسلمين والاوروبيين

علم الفلك

علم الكيمياء

| | |
|-----|--|
| ۱۲۰ | علم الطب |
| ۱۲۳ | اكتشاف الكهرباء |
| ۱۲۷ | الفصل الرابع : الانقلاب الصناعي |
| ۱۲۹ | تعريفه |
| ۱۳۰ | خصائصه |
| ۱۳۱ | عوامل قيام الانقلاب الصناعي |
| ۱۳۲ | تطور الصناعة |
| ۱۳۶ | اكتشاف البخار وتطور استخدامه |
| ۱۳۸ | مراحل صناعة التعدين |
| ۱۴۰ | أدوار الانقلاب الصناعي |
| ۱۴۲ | النتائج العامة للانقلاب الصناعي |
| ۱۴۲ | النتائج الاقتصادية |
| ۱۴۳ | النتائج الاجتماعية |
| ۱۴۵ | النتائج السياسية |
| ۱۴۹ | الفصل الخامس : نمو الحركة القومية في أوروبا |
| ۱۵۰ | آثار الثورة الفرنسية ونتائجها في أوروبا |
| ۱۵۱ | حالة أوروبا بعد الثورة الفرنسية |
| ۱۵۳ | الموقف في أوروبا بعد سقوط نابليون |
| ۱۵۴ | الوحدة الإيطالية |
| ۱۶۵ | الاتحاد الألماني |
| ۱۷۷ | الفصل السادس : يقظة الشعوب ضد الاستعمار الأوروبي : |
| ۱۷۸ | الاستعمار الأوروبي في الشرق بآسيا وإفريقيا |
| ۱۷۸ | عوامل الاستعمار الأوروبي في الشرق |

عرض سريع للتوسع الاستعماري في الشرق

۲ - آثار الاستعمار في الشعوب

الآثار السياسية

الآثار الاقتصادية

دور الاستعمار في إضعاف معنويات الشعوب

۳ - الحركات القومية لمناهضة الاستعمار الاوروبي

اولاً : في البلاد العربية

كفاح عرب مصر

مظاهر الا تياء والكفاح ضد المستعمرين

ثورة يوليو ۱۹۵۲

كفاح عرب الشام

مظاهر الكفاح

كفاح عرب شرق الاردن

كفاح عرب فلسطين

كفاح عرب العراق

كفاح عرب شمال افريقيا

ثانياً : كفاح الهند ضد الاستعمار

سياسة انجلترا في الهند بعد الحرب العالمية الاولى

حالة الهند الداخلية

اسلوب الكفاح ضد المستعمر

دولتا باكستان والهند

ثالثاً : كفاح اندونيسيا ضد الاستعمار

مظاهر الكفاح ضد الاستعمار الهولندي



